الحوار
في القرآن الكريم والسيرة النبوية

عنـوان الكتـاب: الحـــوار فـــي القـــرآن الكـــريم والســـــــيرة النبويـــــــة

التـأليـــــــف: الـدكتور/ عصـام خليـل الـدايح

مراجعـة لغويـة: اســـكرايب للنشـــر والتوزيـــع

الإخـــراج الفنـــيّ: عمـــــرو وســـــالم ســـــواح

تصـميم الغـلاف: ميـــــــــــــــــــــــــدو

رقـــم الإيـــداع: ٢٠١٩/ ١٥٧٤٨

التـرقيم الـدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٣٥-١٣٤-٧

الناشر : زحمة كتاب بالتعاون مع اسكرايب للنشر والتوزيع

اسكرايب للنشر والتوزيع :Facebook Page

Email:scribe20199@gmail.com

Tel: 00201005079256

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار اسكرايب للنشر والتوزيع

كل الحقوق محفوظة

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

الحوار

في القرآن الكريم والسيرة النبوية

الدّكتور

عصام خليل الدّايح

إلى رسول المحبة والسَّلام والحِوار المصطفى (ﷺ)

الرحمة المهداة للبشرية جمعاء أهدي هذا البحث

المتواضع.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله على سيدنا محمَّد خاتم الأنبياء والرسل أجمعين، أدَّى الرسالة وبلَّغ الأمانة ونصح الأمة، وهداها إلى صراط مستقيم .

وبعد :

ستظلُّ سيرة النَّبي محمَّد (ﷺ) نبعاً صافياً لا ينضب، تنهل منه الأجيال المتلاحقة عناصر بقائها، ونبراس أخلاقها، وغذاء روحها، وقدوة سلوكها.

لقد أحدثَ الرسول (ﷺ) انقلاباً فريداً من نوعه، عميقاً في غرسه لقيم الحوار ومفاهيمه الجديدة، منسجماً في ذلك مع هدي القرآن الكريم، حيث أقام الدليل تلو الدليل على أهمية الحوار الحرّ والكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، دون إكراه أو اضطهاد أو إلزام، منطلقاً من الهدي القُرآني العظيم: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة النحل : من الآية :١٢٥).

لقد دعا رسول الله (ﷺ) لإفشاء السَّلام بين النَّاس كافة انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء: ٩٤]

إن إفشاء السَّلام بين النَّاس هو المقدّمة المنطقية للحوار مع الآخر، فضلاً عن كونه المصدر الأولي للطمأنينة النفسيّة والمعنويّة للمُتَحَاورين، وأقصر السبل لبناء جسور المودة والتفاهم والثقة والسّلام بين الأفراد والجماعات، ومن مختلف الأعراق والأديان.

إن مَبدأ الحِوَار مع المسلمين والآخرين على اختلاف قومياتهم وعقائدهم هو جزء من عقيدة المسلم، فهو كصلاته وصيامه وجميع عباداته يقوم على إيمانه بالوحدة الإنسانية لأنَّ الخلق كلهم عيال الله، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ففي هذه الآية يبيّن الله العَليّ القدير أنَّ العالم مكون من شعوب وقبائل، دون أن يؤدي هذا الاختلاف في اللغات والألوان والأديان إلى التنازع والتنافر والتضاد بل إلى التقارب والتفاهم والحوار.

ويشير مفهوم التعارف الوارد في الآية إلى الحوار لأنَّه لا تعارف دون حوار.

إنَّ الحوار ينبثق من إنسانية الدعوة الإسلامية التي تؤكد على مبدأ إنسانية البشر جميعاً، فالخطاب موجّه في الآية الكريمة إلى الناس كافة.

وأود أن أُبين أنَّني لا أملك مقومات الحديث عن رسول الله (ﷺ) الذي أرسله الله تعالى رحمة مهداة للبشرية جمعاء، فكيف بي مدافعاً عن مَنْهجه الإنساني العظيم في الحِوَار مع الآخر، ومنافحاً عن أخلاقه النَّبويّة

السّامية، وسجاياه الفاضلة، وآدابه الرَّبانية التي أدَّبه بها الله تعالى لحمل أعباء رسالته الخاتمة لرسالات الأنبياء كافة.

لقد حرَّر النَّبي (ﷺ) الحِوَار من الجمود وأطلقَ له العنان، وأرسى مبادئ التفاهم والتسامح، والمساواة، والعدل، وحقوق الإنسان.

ومن سِمَاتِ مَنْهَج الرسول (ﷺ) في الحِوَار، الحِوَار وفقَ هدي القُرآن الكريم، والتأكيد على وحدانية الله (سبحانه وتعالى)، وعدم إكراه الناس على الدخول في الإسلام، والإقناع بالحجج العقلية والحكمة والموعظة الحسنة، والتسامح، وتوظيف وسائل متنوعة للتواصل مع الآخر،كالرسائل الكتابية والشَّفهيَّة، والخُطَب، والتوجيهات وسواها، والرغبة الصَّادقة في الحِوَار والتعارف والتفاهم والسلام.

وقد اعتمدتُ في كتابي هذا سلوك منهج الاعتدال والإيجاز، وتنوع الموضوعات والاعتماد على الأحاديث الصَّحيحة والحسنة في غالب الأحيان.

وأرجو أن أكون بهذا الكتاب قد قدّمت للقارئ المسلم وغير المسلم، ما يصبو إليه من المعرفة الموضوعية في جانبٍ هام من جوانب سيرة النَّبي محمَّد (ﷺ) دفاعاً عن الحقيقة وردّاً على الحملات الحاقدة التي ما فتئت تحاول النيل من سيرته الإنسانية العطرة.

إن أُمنيتي الغالية على قلبي أن يتيح هذا الكتاب لمن يتصفحه أن يدرك الجوانب الإنسانية العظيمة، والتي لا حصر لها في شخصيّة النَّبي (ﷺ)، رسول المحبة والحِوَار والتسامح والسَّلام، وأن يزيل كل الأكاذيب الباطلة، والافتراءات الحاقدة، والشبهات الزائفة التي روَّجتها بعض وسائل الإعلام

الغَربية بقصدٍ أو دون قصد عن النَّبي (ﷺ)، انتصاراً للحقيقة والموضوعية، وإنصافاً لأمانة البحث العلمي.

وإن وجدَ هفوةً فتلك طبيعة البشر والله وَحده مُنَزَّه عن الخَطأ والزلل، وإن وجدَ ما يفيد وينفع فليدعُ لي بالرشاد والسَّداد.

وصلّى الله على المبعوث رحمة للعالمين، رسول الإنسانية إلى طريق الخير والفَلاح والمحبة والتفاهم والسَّلام، وعلى آله وصَحبه وسلم، والحَمد لله الذي بنعمته تتمُ الصالحات.

الدكتور

عصام خليل الدامغ

القسم الأول

نبذة موجزة من سيرة النَّبي محمّد (ﷺ)

أولاً : نسبه (ﷺ) وولادته ورضاعته وشبابه .

ثانياً : زواجه بخديجة .

ثالثاً : بناء الكعبة وقضية التحكيم .

رابعاً : صفاته الحميدة قبل النّبوة .

خامساً : اختلاؤه في غار حراء .

سادساً : بدء الوحي .

سابعاً : النّبوة والدعوة (العهد المكيّ) .

ثامناً : الدعوة والجهاد (العهد المدني) .

تاسعاً : علاقة دعوة النّبي (ﷺ) بالدعوات السّماوية السابقة.

أولاً – نسبه (ﷺ) وولادته ورضاعته وشبابه

نسبه (ﷺ) ، هو محمّد بن عبدالله بن عبد المطلب، ويدعى شيبة الحمد، ابن هاشم بن عبد مناف واسمه المغيرة، ابن قصي ويسمى زيداً ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان [١] .

وعدنان من ولد إسماعيل نبي الله ابن ابراهيم خليل الله (عليهما السلام). وأما ولادته (ﷺ) فقد كانت في شعب بني هاشم بمكة في عام الفيل، أي العام الذي حاول فيه أبرهة الأشرم غزو مكة وهدم الكعبة فرده الله عن ذلك بالآية الباهرة التي وصفها القرآن الكريم . وكانت في صبيحة يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، ويوافق ذلك عشرين أو اثنين وعشرين من شهر أبريل ٥٧١م، حسبما حقّقه العالم الكبير محمد سليمان – المنصور فوري – رحمه الله [٢] .

---

١ البوطي، د . محمد سعيد رمضان البوطي : فقه السِّيرة ، ص٤٩ .

٢ ٢٠ أبريل حسب التقويم الميلادي القديم و ٢٢ أبريل حسب التقويم الميلادي الجديد ، انظر : رحمة للعالمين ١/ ٣٨، ٣٩، ٢/ ٣٦٠، ٣٦١ .

وقد ولد يتيماً، فقد مات أبوه عبد الله وأمه حامل به لشهرين فحسب فعني به جده عبد المطلب واسترضع له – على عادة العرب إذ ذاك – امرأة من بني سعد يقال لها حليمة بنت أبي ذؤيب .

ولمَّا أصبح له من العمر ست سنوات ماتت أمه آمنة، وما إن تحول الرسول إلى كفالة جده عبد المطلب حتى وافته هو الآخر منيته فمات وقد تمَّ للنّبي (ﷺ) ثمان سنوات، فكفله عمّه أبو طالب.

ولما تمَّ له (ﷺ) من العمر اثنتا عشر سنة، سافر عمه أبو طالب إلى الشام في ركب للتجارة، فأخذه معه . ولمَّا نزل الركب (بصرى) مرّوا على راهب مسيحي يقال له (بحيرا) وكان عليماً بالإنجيل، وهناك أبصر بحيرا النَّبي (ﷺ) ، فجعل يتأمله ويكلمه، ثم التفت إلى أبي طالب فقال له :

- ما هذا الغلام منك ؟

- فقال : ابني (وكان أبو طالب يدعوه بابنه لشدة محبته له وشفقته عليه) فقال له بحيرا : ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون أبو هذا الغلام حيّاً . فقال: هو ابن أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به .

قال بحيرا : صدقت . فارجع به إلى بلده واحذر عليه من اليهود فو الله لئن رأوه هنا لَيُبلِغنّه شراً، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم . فأسرع به أبو طالب عائداً إلى مكة [١] .

---

١ باختصار عن سيرة ابن هشام : ١/ ١٨٠ ورواه الطبري في تاريخه : ٢/ ٢٨٧ .

ثم أخذ رسول الله (ﷺ) يستقبل مرحلة الشباب من عمره فبدأ بالسعي للرزق وراح يشتغل برعي الأغنام وحفظه الله من كل ما قد ينحرف إليه الشبان من مظاهر اللهو والعبث .

وفي الخامسة والعشرين من سنِّه خرج تاجراً في مال خديجة (رضي الله عنها)، قال ابن إسحاق : كانت خديجة بنت خويلد تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله (ﷺ) ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجارة، مع غلام لها يقال له : ميسرة، فقبله رسول الله (ﷺ) منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام [١] .

---

١ ابن هشام ١/ ١٨٧ ، ١٨٨ .

ثانياً – زواجه بخديجة

ولّما رجع إلى مكة، ورأت خديجة في مالها الأمانة والبركة أعجبت بعظيم أمانته، فعرضت نفسها عليه زوجة بواسطة صديقتها (نفيسة بنت منيّة)، فوافق النّبي (ﷺ)، وكلّم في ذلك أعمامه فخطبوها له من عمها عمرو بن أسد . وتزوجها عليه الصلاة والسلام وقد تمَّ له من العمر خمسة وعشرون عاماً ولها من العمر أربعون، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله(ﷺ)، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت .

وكل أولاده منها سوى إبراهيم، ولدت له : أولاً القاسم – وبه كان يكنّى – ثم زينب ، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله . وكان عبد الله يلقّب بالطيّب والطاهر، ومات بنوه كلهم في صغرهم، أما البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن، إلاَّ أنهن أدركتهن الوفاة في حياته (ﷺ) سوى فاطمة (رضي الله عنها)، فقد تأخرت بعده ستة أشهر ثم لحقت به [١].

---

١ ابن هشام ١/ ١٨٩ – ١٩١ ، وفتح الباري ٧/ ١٠٥ .

ثالثاً – بناء الكعبة وقضية التحكيم

ولخمس وثلاثين سنة من مولده (ﷺ) قامت قريش ببناء الكعبة، وكانت قد تعرضت - باعتبارها

أثراً قديماً – للعوادي التي أدهت بنيانها، وصدّعت جدرانها، وقبل بعثته (ﷺ) بخمس سنين جرف مكة سيل عرم انحدر إلى البيت الحرام، فأوشكت الكعبة منه على الانهيار ، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصاً على مكانتها ، واتفقوا على ألاّ يدخلوا في بنائها إلاّ طيباً ، فلا يدخلون فيها مهر بغي ولا بيع رباً ولا مظلمة أحد من الناس، وكانوا يهابون هدمها ، فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي، فأخذ المعول، وقال : اللّهم لا نريد إلاَّ الخير، ثم هدم ناحية الركنين، ولما لم يصبه شيء تبعه الناس في الهدم في اليوم الثاني، ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أرادوا الأخذ في البناء فجزأوا الكعبة، وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها . فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة، وأخذوا يبنونها، وتولّى البناء بنّاء رومي اسمه باقوم . ولمّا بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه، واستمر النزاع أربع ليال أو خمساً، واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم ، إلاَّ أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكّموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله (ﷺ)، فلما رأوه هتفوا : هذا الأمين، رضيناه، هذا محمّد ، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداء فوضع الحجر وسطه وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً

بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا وصلوا إلى موضعه أخذه بيده فوضعه في مكانه، وهذا حل حصيف رضي به القوم [١].

وهكذا أقنع رسول الله (ﷺ) كافة الأطراف المتنازعة بهذا الرأي الصائب والحوار الهادف، فجنّب الجميع الخلاف والشقاق وأحل مكانه الوئام والاتفاق .

رابعاً – صفاته الحميدة قبل النّبوة :

يحدثنا فضيلة الشيخ " صفي الرحمن المباركفوري " في كتابه " الرّحيق المختوم " عن سيرة النّبي (ﷺ) قبل النّبوة فيقول : ((كان النّبي (ﷺ) قد جمع في نشأته خير ما في طبقات الناس من ميزات ، وكان طرازاً رفيعاً من الفكر الصائب، والنظر السديد، ونال حظاً وافراً من حسن الفطنة وأصالة الفكرة وسداد الوسيلة والهدف، وكان يستعين بصمته الطويل على طول التأمل وإدمان الفكرة واستكناه الحق، وطالع بعقله الخصب وفكرته الصافية صحائف الحياة وشؤون الناس وأحوال الجماعات، فعاف ما سواها من خرافة، ونأى عنها، ثم عاشر الناس على بصيرة من أمره وأمرهم، فما وجد حسناً شارك فيه وإلا عاد إلى عزلته العتيدة، فكان لا يشرب الخمر ، ولا يأكل مما ذبح على النصب، ولا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً،

---

١ ابن هشام : ٢/ ١٩٢-١٩٧ ، وتاريخ الطبري ٢/ ٢٨٩ .

بل كان من أول نشأته نافراً من هذه المعبودات الباطلة، حتى لم يكن شيء أبغض إليه منها، وحتى كان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى [١] .

خامساً – اختلاؤه في غار حراء

ولمّا أخذت سنّ رسول الله (ﷺ) تدنو به نحو الأربعين، ألف حبّ العزلة بين الفترة والأخرى، وحبَّب الله إليه الاختلاء في غار حراء – وحراء جبل يقع في جانب الشمال الغربي من مكة – إلى أن جاءه الوحي وهو في إحدى خلواته تلك .

١ المباركفوري ، صفي الرّحمن : الرّحيق المختوم، ص٩٨، وانظر أيضاً لذلك : ابن هشام ١/ ١٢٨ ، وتاريخ الطبري ٢/ ١٦١

سادساً- بدء الوحي

((لمّا تكامل له أربعون سنة – وهي رأس الكمال، وقيل : ولها تبعث الرسل – بدأت طائع النّبوة تلوح وتلمع، ومنها أنه كان يرى الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح، حتى مضت على ذلك ستة أشهر – ومدة النّبوة ثلاث وعشرون سنة ، فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النّبوة – فلما كان رمضان من السنة الثالثة من عزلته (ﷺ) بحراء شاء الله أن يفيض من رحمته على أهل الأرض، فأكرمه بالنّبوة، وأنزل إليه جبريل بآيات من القرآن)) [١] .

قالت السيدة الصّدّيقة عائشة (رضي الله عنها) ، تروي قصة نزول الوحي: أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فَيَتحنَّث فيه – وهو التعبّد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال : اقرأ : قال : ((ما أنا بقارئ))، قال : ((فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال : اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال :

---

١ المرجع السابق ، ص٧٤ .

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ [العلق: ١-٣][1] ، فرجع بها رسول الله (ﷺ) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : " زمِّلوني زمِّلوني " فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة : ((مالي ؟)) فأخبرها الخبر، ((لقد خشيت على نفسي))، فقالت خديجة : كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرَّحم، وتحمل الكل، وتُكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً قد عمي – فقالت له خديجة : يا بن عم ، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة : يا بن أخي، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله (ﷺ) خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزّله الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعا، ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله (ﷺ) : ((أو مخرجيّ هم)) قال : نعم، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلاّ عُودي، وإن يدركني يومك أنصُرْكَ نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفترَ الوحي [2] .

---

١ نزلت الآيات إلى قوله تعالى : { علَّمَ الإنسانَ مَا لم يَعْلم }[العلق : ٥] .

٢ صحيح البخاري ج(٣) وقد أخرجه البخاري مع اختلاف يسير في اللفظ في كتابي التفسير وتعبير الرؤيا ح(٣٣٩٢)، ٤٩٥٣ ، ٤٩٥٧ ، ٦٩٨٢ ، وأخرجه مسلم ح (٢٥٢) .

سابعاً – النّبوة والدعوة (العهد المكيّ)

تنقسم حياة رسول الله (ﷺ) بعد أن شرفه الله بالنّبوة والرسالة إلى عهدين يمتاز أحدهما عن الآخر تمام الامتياز، وهما :

١- العهد المكيّ، ثلاث عشرة سنة تقريباً .

٢- العهد المدني، عشر سنوات كاملة .

ثم يشتمل كل من العهدين على عدة مراحل، لكل مرحلة منها خصائص تمتاز بها عن غيرها .

ويمكن تقسيم العهد المكي إلى ثلاث مراحل :

١- مرحلة الدعوة السرية ، ثلاث سنوات :

بعد نزول الوحي على الرسول (ﷺ) والبدء بنزول آيات القرآن الكريم بدأ الرسول يدعو الناس إلى الدخول في دين الإسلام، ولكنه كان يفعل ذلك سراً لأنه كان يخاف من قريش زعيمة الشرك والوثنية في شبه جزيرة العرب .

ولقد استمر هذا الدور ثلاث سنوات تقريباً، كان الرسول (ﷺ) من خلاله يدعو أهل بيته وأصدقاءه إلى عبادة الإله الواحد وترك عبادة الأوثان .

وكان أول من آمن به من الرجال صديقه أبو بكر (رضي الله عنه)، ومن النساء زوجته خديجة (رضي الله عنها)، ومن الصبية ابن عمه عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه)، كما آمن به مولاه زيد بن حارثة، ثم بدأ عدد المسلمين يزداد تدريجياً وكان الرسول (ﷺ) يلتقيهم في دار الأرقم .

٢- مرحلة إعلان الدعوة في أهل مكة :

بعد ذلك صعد الرسول (ﷺ) إلى جبل الصفا وأخذ يدعو أهله وأعمامه وأهل مكة للدخول في دين الإسلام . وقد حصل ذلك جهراً وعلناً امتثالاً لأوامر الله (ﷻ)، حيث ورد في سورة الشعراء قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، كما ورد في سورة الحجر قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر: ٩٤]

لقد دعا الرسول (ﷺ) قومه للإيمان برسالة الإسلام ومناصرته، ولكن قريشاً رفضت الاستجابة لدعوته، وأخذت تقاومه وتعارضه وتكيد له، لأنهم كانوا يعتقدون أن انتشار الإسلام سوف يهدد مكانة قريش وزعامتها الدينية والاقتصادية .

وكان ذلك الاعتقاد خاطئاً، لأن انتصار الإسلام أعطى لقريش ومكة مكانة عظيمة وأهمية كبيرة واستمر ذلك حتى الوقت الحاضر.

لقد استمر هذا الدور عشر سنوات كاملة كانت خلاله قريش تسيء معاملة الرسول (ﷺ)، كما تسيء إلى المسلمين بأشكال مختلفة، وقد تم تعذيب عدد كبير منهم أيضاً .

ومن الواضح أن السبب الرئيسي لمقاومة قريش للرسول (ﷺ) يكمن في أنه دعاهم إلى أمور تختلف عما عرفوه عن آبائهم وأجدادهم، ولم يكونوا في قرارة أنفسهم يرفضون مبادئ الدين الجديد .

٣- مرحلة الدعوة خارج مكة، من أواخر السنة العاشرة من النّبوة . وقد شملت العهد المدني وامتدت إلى آخر حياته (ﷺ) .

ثامناً- الدعوة والجهاد (العهد المدني)

يمكن تقسيم العهد المدني إلى ثلاث مراحل :

١- مرحلة تأسيس المجتمع الإسلامي، وتمكين الدعوى الإسلامية، وقد أثيرت في هذه المرحلة الفتن، وزحف فيها الأعداء من الخارج، ليستأصلوا شأفة المسلمين، وقد انتهت هذه المرحلة بتغلب المسلمين وسيطرتهم على الموقف مع عقد صلح الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة .

٢- مرحلة الصلح مع العدو الأكبر، والفراغ لدعوة ملوك الأرض إلى الإسلام، وللقضاء على أطراف المؤامرات . وقد انتهت هذه المرحلة بفتح مكة المكرمة في رمضان سنة ثمان من الهجرة .

٣- مرحلة استقبال الوفود، ودخول الناس في دين الله أفواجاً . وقد امتدت هذه المرحلة إلى وفاة الرسول (ﷺ) في ربيع الأول سنة إحدى عشر من الهجرة .

تاسعاً – علاقة دعوة النّبي (ﷺ) بالدعوات السّماوية السابقة

دعوة النّبي محمّد (ﷺ) تؤكد وتتم كل الدعوات السّماوية السابقة . ((وبيان ذلك أن دعوة كل نبي تقوم على أساسين اثنين . الأول العقيدة والثاني التشريع والأخلاق . فأما العقيدة فلم يختلف مضمونها منذ بعثة آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم النّبيين محمّد (ﷺ) إنما هي الإيمان بوحدانية الله

وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من الصفات، والإيمان باليوم الآخر والحساب والجنة والنار.

فكان كل نبي يدعو قومه إلى الإيمان بهذه الأمور. وكان كل منهم يأتي مصدّقاً لدعوة من قبله ومبشراً ببعثة من سيأتي بعده .

وأما التشريع وهو سنّ الأحكام التي يتوخى منها تنظيم حياة المجتمع والفرد، فقد كان يختلف في الكيف والكم ما بين بعثة نبيّ وآخر (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وسبب ذلك أن التشريع من نوع الإنشاء لا الإخبار يخضع للتطور الزمني ولاختلاف الأمم والأقوام، هذا إلى أن

بعثة كل من الأنبياء السابقين كانت خاصة بأمة معينة ولم تكن عامة للناس كلهم[١].

وهكذا لا توجد أديان سماوية متعددة . وإنما توجد شرائع سماوية متعددة نسخ اللاحق منها السابق إلى أن استقرت الشريعة السّماوية الأخيرة التي بلّغها خاتم الأنبياء والرُّسل أجمعين (ﷺ) .

إنّ دعوة النّبي (ﷺ) مكملة ومتممة لدعوة إبراهيم وإسماعيل ويعقوب وموسى وعيسى وسائر الأنبياء والرُّسل (عليهم السلام) .

١ البوطي ، د.محمد سعيد رمضان : فقه السِّيرة ، ص٣١ -٣٢ .

القسم الثاني

الحوار في القرآن الكريم والسُّنّة النَبوية

((تعريفه وأهميته ومنزلته وأسسه وعناصره))

أولاً : تعريف الحوار وحقيقته

ثانياً : أهمية الحوار ودواعي تعزيز ثقافته

ثالثاً : منـزلة الحوار في القرآن الكريم

رابعاً : منـزلة الحوار في السُّنّة النَّبوية

خامساً : أسس الحوار :

١ – الإخلاص لله والتجرد من الهوى .

٢ – العلم .

٣– العدل والإنصاف .

٤ – الحكمة .

٥ – الموعظة الحسنة .

٦ – المجادلة بالتي هي أحسن

٧– اعتماد العقل والتفكير السّليمين

٨- التجرد عن الأحكام المسبقة .

٩- مواجهة الطرف الآخر من خلال أفكاره .

١٠- عدم إثارة الطرف الآخر .

١١- قيام الحوار على مبدأ عدم العنف .

سادساً : عناصر الحوار .

١- أطراف الحوار .

٢- موضوع الحوار .

٣- أهداف الحوار .

٤- أهداف الحوار مع غير المسلمين .

٥- الإدارة والرقابة والتحكيم .

٦- مكان الحوار .

٧- زمان الحوار .

٨- منهج الحوار .

٩- أسلوب الحوار .

١٠- آداب الحوار .

١١- نتائج الحوار .

أولاً : تعريف الحوار وحقيقته

الحوار في اللغة : قال ابن منظور: ((الحور : الرجوع عن الشيء وإلى شيء.. والمحاورة : المجاوبة . والتحاور : التجاوب)) [١] .

الحوار في الاصطلاح : لفظ الحوار مصطلح حادث، لا يحمل حقيقة شرعية تزيد على حقيقته اللغوية، بل ولا يحمل دلالة قانونية مستقرة .

حقيقة الحوار : الحوار هو وسيلة الدعوة، وأداة البيان، وإقامة الحجة، ومن صوره المطابقة لحقيقته، التي تحمل معنى المفاعلة من طرفين في القرآن الكريم : ((المجادلة)) و ((المحاجة)) .

ويرى الدكتور ((أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي)) أن الحوار الشرعي نوعان : ((الأول : حوار الدعوة : وهو وظيفة المرسلين، وخلفائهم من العلماء الربانيين، والدعاة الناصحين، وهو مشروع الأمة الإسلامية، وعنوان خيريتها على سائر الأمم .

الثاني : حوار السياسة الشرعية : وهو ما تفرضه حركة الأمة الإسلامية، وتمليه طبيعة التعايش بين البشر، بحكم الجوار والمصالح المتبادلة . وهذا النوع من الحوار والمفاوضات والمعاهدات يوكل إلى أولي الأمر، وأهل الحل والعقد، وتضبطه القواعد، العامة في الشريعة، وتقدير المصالح)) [٢] .

---

١ ابن منظور ، لسان العرب : ٣/ ٣٨٣ .

٢ القاضي ، د.أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان : الحوار في القرآن والسُّنّة ، ص١، موقع رابطة العالم الإسلامي .

ثانياً- أهمية الحوار ودواعي تعزيز ثقافته

الاختلاف سنّة كونية هامة أثرَتْ الحياة الإنسانية بألوان مختلفة ومتجددة من التفكير والسلوك، ومرد هذا الاختلاف إلى الطبائع الوراثية وأنماط التربية والتنشئة . فالاختلاف والاتفاق قضيتان نسبيتان تتراوح نسبتهما بين الواحد بالمائة والتسع والتسعين بالمائة . وهذا لا يعني عدم وجود حق مطلق، ولكن هذا الحق المطلق هو الذي يحدده الله (ﷻ) فقط أو من يخولهم من عباده كالأنبياء . وكذلك تعتبر الفطرة نافذة إلهية لمعرفة الحق كما لا يعطي هذا الاختلاف حقوقاً متساوية لكلا المختلفين في الانتساب للحق، بل أن للاختلاف مرجعية مطلقة ليست من اختراع المختلفين .

قال تعالى : ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ ﴾ [المائدة: ٤٨]

و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ ﴾ [الزمر: ٣].

فالحكم لله تعالى في حالات الاختلاف، وحكمه عبّر عنه في كتابه الكريم .

وهنا تكمن أهمية الحوار الذي يعطي للاختلاف بعده الإنساني ويضعه في شكله الطبيعي، ويحول دون تحوله إلى حالة صدامية .

إنَّ أهمية الحوار تكمن أيضاً في كونه أداة للكشف عن الحقائق والأشياء الملتبسة والغامضة، ومن خلاله تتم الإجابة عن العديد من علامات الاستفهام والإشكاليات العالقة في الذهن ، أو تزيد من القناعات الذاتية، كما يمكن من خلاله كشف الباطل ودحضه وكشف مؤثرات بطلانه ودلائله .

إنَّ أهمية الحوار في الإسلام تتأتى من كونه يعبّر عن قيم حضارية، لأنه أسلوب الأنبياء في التبليغ والدعوة، حيث انتشر الإسلام بالوعظ والمحاجة والقول الحكيم، فوصل إلى مشارق الأرض ومغاربها .

لقد دخل ملايين الناس في أفريقية وشرق آسيا وأمريكا الإسلام بوساطة الحوار، فالإسلام هو دين الحوار والحجة بأسلوب الحكمة

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ويجمل الباحث الدكتور " أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي " أهم دواعي تعزيز ثقافة الحوار وترشيدها بنور الكتاب والسُّنّة بما يلي :

١- الانفتاح الكبير بين شعوب العالم، ودياناته، وثقافاته .

٢- الحملة الشعواء الموجّهة ضد الإسلام ودعاته ومؤسساته .

٣- تصدّر غير المؤهلين، أحياناً، لتمثيل الإسلام في المحافل، ووسائل الإعلام .

٤- الاستفادة من التسهيلات التقنية والقانونية المتاحة نسبياً، لتبليغ الإسلام)) [١] .

---

١ القاضي ، د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان : الحوار في القرآن والسُّنّة ، ص١، موقع رابطة العالم الإسلامي .

ثالثاً– منزلة الحوار في القرآن الكريم

حفل القرآن الكريم بالكثير من المواقف الحوارية، التي بمعنى المراجعة والمرادّة في الكلام، بلغت، كما أحصاها الباحث الدكتور " أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي" [١] قرابة مائةٍ وعشرين موقفاً حوارياً، شغلت نحو ألف آية من كتاب الله، أي ما يعادل سدس آي القرآن الكريم . هذا سوى الآيات الخطابية المصدّرة بـ : (يا أيُّها الناس) ، و (يا أهل الكتاب) و (يا أيُّها الذين آمنوا)، وسوى آيات المسائلة والمحاجة التي لا يعقبها جواب، وآيات الإخبار عن المقالات التي لا تتضمن مراجعة في الكلام، وإن كانت هذه جميعاً في الواقع تحمل طبيعة الحوار، ولو جرى حسبانها جميعاً لصار القرآن الكريم كله كتاب حوار.

رابعاً – منزلة الحوار في السُّنّة النّبوية :

حفلت السِّيرة النّبوية بالكثير من المواقف الحوارية الثرّة، والمناظرات المؤثرة، فرسول الله (ﷺ) بشر يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، ويعرض نفسه في المواسم، ويحاور ويدعو كل من لقي،
وسيكون " الحوار في السِّيرة النّبوية " محور هذا البحث في معظم أقسامه .

---

١ المرجع السابق نفسه ،ص٣ .

خامساً – أسس الحوار [١]:

١- الإخلاص لله، والتجرد من الهوى وحظوظ النّفس :

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الإمام المجدّد محمّد بن عبد الوهاب ، رحمه الله في مسائلها : ((التنبيه على الإخلاص، لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه))[٢].

٢- العلم :

قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٦]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣].

فيتعين أن يكون الحوار قائماً على العلم، لا الظن، ولا الخرص.

قال تعالى ناعياً على صنف من المحاورين : ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

---

١ الفقرات من ١ إلى ٦ مأخوذة باختصار من بحث الدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي : الحوار في القرآن والسُّنّة ، انظر موقع رابطة العالم الإسلامي .

٢ شيخ الإسلام ، الإمام محمّد بن عبد الوهاب ، كتاب التوحيد ، ص١٦ .

والعلم علمان : علم بالشرع وعلم بالواقع . ولا شك أن المحاور إذا استجمع النوعين صار لديه أهلية للنظر، وإصابة الحق . ومن فقدهما أو أحدهما، فربما أساء أكثر مما أحسن، وأفسد أكثر مما أصلح . وقد زخر التاريخ الإسلامي بنماذج رائعة من محاورات الراسخين في العلم، المحيطين بمقالات المخالفين، كما جرى لأبي بكر الباقلاني في سفارته لملك الروم، وكما وقع لشيخ الإسلام ابن تيمية في مناظراته مع المبتدعة، وكما صنع الشيخ رحمة الله الهندي في مناظراته الشهيرة مع القس فندر، وأخيراً وليس آخراً، ما اشتهر به الشيخ أحمد ديدات من مناظرات مع قساوسة النصارى .

٣- العدل والإنصاف :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨]

وقال : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال عمار بن ياسر (رضي الله عنه) : ((ثلاثة من جمعهنَّ فقد جمع الإيمان الإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والإنفاق من الإقتار)) [١] .

---

١ صحيح البخاري : ١/ ١٩ .

٤- الحكمة :

قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال ابن منظور: (الحكمة عبارة عن معرفة الأشياء بأفضل العلوم)[١] .

فينبغي أن يتصف المحاور بالروية، والأناة، وبعد النظر، ووضع الأمور في نصابها، وتوقيت الأشياء بأوقاتها .

٥- الموعظة الحسنة :

قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال ابن منظور : (الوعظ، والعِظه، والعَظه ، والموعظة : النصح والتذكير بالعواقب) [٢] .

وكثير من المتحاورين يشوب حواره شوب من جفاف عقلي، ويقصي المؤثرات الوجدانية من قاموس حواره، مع أن الله قال لموسى وهارون (عليهما السلام) :

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤] .

---

١ ابن منظور : لسان العرب : ٣/ ٢٧٠ .

٢ المصدر السابق نفسه : ١٥/ ٣٤٥ .

٦- المجادلة بالتي هي أحسن :

قال تعالى : ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] .

قال ابن منظور : (الجدل : مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة) [١] .

٧- اعتماد العقل والتفكير السليمين : [٢]

يهدف القرآن الكريم إلى إبراز الحجة والبرهان والمنطق العلمي والعقلي ويتابع التسلسل المنطقي في كل فكرة يوردها ويدلل عليها . وتقوم هذه النقطة على الأسس التالية :

أ- تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعاوى .

ب- إثبات صحة النقل في الأمور المروية المنقولة .

ولعلَّ مثالاً واحداً يوضح هذه الفكرة، وهو قول الله تعالى :

---

١ المصدر السابق نفسه : ٢/ ٢١٢ .

٢ الفقرات من ٧ إلى ١٠ مأخوذة من بحث الدكتور بسام داود عجك : الحوار في الكتاب والسُّنة ، المنشور في موقع رابطة العالم الإسلامي ، ص١٨ – ١٩ .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

فبكل عقلانية ومنطق سليمين يقول القرآن : إنكم يا من اتخذتم المسيح إلهاً من دون الله (ﷻ) لأنه قد خُلق بمعجزة وهي كونه قد ولد من دون أب فإن آدم (عليه السلام) من قبله قد خُلق من تراب، أي من دون أب وأم، وأنتم تؤمنون بهذا فلماذا لا يكون آدم إلهاً لكم أيضاً، بناء على المنطق نفسه الذي تسيرون عليه، مع أن معجزة آدم أعظم من المسيح ، ولكن عيسى ليس إلاَّ مثالاً كمثال آدم (عليهما السلام) .

٨ التجرد عن الأحكام المسبقة :

وهذا هو الأسلوب العلمي الذي يقوم على تفريغ الحوار من الأفكار المسبقة بين المتحاورين والتي تحول دون الوصول إلى الصواب وتشكل حاجزاً نفسياً يصعب اختراقه .

٩- مواجهة الطرف الآخر من خلال أفكاره :

أي على مبدأ : من فمك أدينك ، وهذه النقطة تحث كل طرف على عرض كل أفكاره على ساحة الحوار ويحاول دعم وجودها بكل الأدلة والبراهين .

وهنا يقول المسلم للطرف الآخر : هات ما عندك من أفكار وأبرز حقائقها، فيصل بذلك إلى عملية تفريغ كاملة لكل أسلحة الطرف الآخر .

ثم يعرض المسلم ما لديه من أفكار ويقول : هذا هو الحق الذي نؤمن به وهذا هو الهدى الذي نتبعه فإن كان لديكم – يخاطب الطرف الآخر –

طريق أفضل أو عقيدة أصح فنحن على استعداد لقبولها وتلقيها . وقد جاء هذا واضحاً في قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القصص: ٤٩] .

١٠- عدم إثارة الطرف الآخر :

وهو مبدأ مهم جداً لأن الإثارة تولد انفعالاً ومع هذا الانفعال سينحرف الحوار عن منهجه فيؤدي ذلك إلى قطع كل الحبائل التي يمكن أن تقرّب بين وجهات نظر الطرفين، ويعتمد هذا المبدأ على قوله الله تعالى :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

[الأنعام: ١٠٨].

١١- قيام الحوار على مبدأ عدم العنف :

أي الحوار الهادئ وهي الطريقة التي تعتمد على اللين والمحبة أساساً، ولذلك لا بد من سلوك هذه الطريقة بالكلمات الطيبة المرنة التي تفتح القلوب على الحق وتقرّب الأفكار وتخاطب فطرة الإنسان وقد أوصى الرسول (ﷺ) بذلك بقوله : ((يسروا ولا تعسروا وبشّروا ولا تنفروا)) [١].

---

١ صحيح البخاري : ١/ ٢٤ .

سادساً – عناصر الحوار

من أهم عناصر الحوار التي لا غنى عنها بكل حوار هادف وفاعل : أطراف الحوار، الموضوع، الأهداف، الإدارة والتحكيم، الزمان ، المكان، المنهج، الأسلوب ، الآداب والنتائج . ومن خلال استعراض هذه العناصر نقف على البعد الإسلامي حيال كل منها بالصورة التي تحقق غايات الحوار وأهدافه .

١- أطراف الحوار :

يجب توفر خصائص ومؤهلات في شخصية المتحاورين، من النواحي النفسية والشخصية والفكرية والموضوعية تكفل نجاح الحوار.
ومن أهم هذه المؤهلات هي :

أ- التساوي في الرغبة والتكافؤ في حرية الطرح : أي أن لا يكون أحد أطراف الحوار مقحماً أو مجبراً على الحوار أو مضطراً له تحت ضغوط التهديد المختلفة .
فمثل هذا الحوار- مهما كانت نتائجه – ليست له قيمة علمية أو دينية أو أخلاقية، لأنه يفتقر إلى أبسط أسس الحوار الحقيقي وآدابه .
وقدمت لنا السِّيرة النّبوية نماذج عظيمة من مواقف الحوار الحقيقي حتى في أثناء الحرب لإقناع الخصم ومحاججته، بهدف تجنب كوارث الحرب وويلاتها عن المسلمين .

ب- التسلح بالعلم والمعرفة في موضوع الحوار، فهو المنطلق لدخول الحوار وكسبه معنوياً وموضوعياً : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران: ٦٦] .

فالحوار الحقيقي ينبغي أن يمُهّد له بشكل موضوعي ويسير وفق أسس علمية، وهذا لا يتأتى دون تمكّن المتحاورين في موضوع الحوار وإحاطتهم الكافية بحقائقه، ويضرب الله تعالى مثلاً في من يحاور في أمر وجود الله ووحدانيته وهو لا يفقه شيئاً في هذا المجال : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ﴾ [الحج: ٨] .

وحتى لوكان الحق مع الطرف الضعيف علمياً، فإن هذا الحق سيضيع بسبب الجهل .

ت – التحلي بسلوكية الثقة : أي التحلي بصفات الهدوء والتروي، وضبط النفس، واللين والمرونة، والتوازن في المشاعر، وقد بيَّن الله العليّ القدير لرسوله الكريم (ﷺ) قاعدة عامة في التحاور مع الآخرين ، تركّز على اللين والمرونة والتسامح : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

فالله تعالى يأمر الرسول (ﷺ) بالتشاور مع من قد أساؤوا إليه، بعد أن يعفو عنهم ويستغفر لهم كما أمر من قبل موسى وهارون (عليهما السلام) :

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤ ﴾ [طه: ٤٣-٤٤] .

٢- موضوع الحوار :

يجب قبل الدخول في الحوار تحديد نقاط الاختلاف والغموض، والطريقة التي يتحدد فيها التحاور ليكون الموضوع واحداً ومحدّداً، كيلا ينحرف الحوار باتجاهات أخرى ويكون مضيعة للوقت وتشتيتاً لموضوع الحوار الأصلي .

٣- أهداف الحوار :

قيمة الحوار العليا تكمن في هدفيته، فالحوار الذي لا يحمل هدفاً معيناً ولا يترك أثراً علمياً أو فكرياً هو حوار عديم القيمة والفائدة .

ومن أهم أهداف الحوار :[١]

أ- الدعوة إلى الله : قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤] .

دلت هذه الآية على أنَّ الحوار البنّاء يحمل هدفاً نبيلاً، ومضموناً شريفاً، وهو الدعوة إلى دين الله، والاتفاق على مقدمات عقدية صحيحة، والتبرؤ من الشرك والعبودية لغير الله .

---

١ القاضي ، د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان : الحوار في القرآن والسُّنّة ، موقع رابطة العالم الإسلامي، ص ١٥ -١٨ باختصار .

ب- ردّ الشبهة وتحصين المستمعين : قال تعالى في قصة محاورة إبراهيم للنمرود : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] .

فقد يجد المحاور نفسه مضطراً لخوض حوار لا يرتجى من ورائه إقناع مخالفه، لسبب أو لآخر، لكن الموقف يفرض المضي في الحوار لغرض ردّ شبهة أثيرت، وصيانة عقول المسلمين والمشاهدين ، وربما كانوا أعداداً غفيرة حول العالم، كما يقع في بعض المناظرات الفضائية، فيتعين بيان الحق، كما ورد في المثال القرآني أعلاه .

ت- المذاكرة والتبّصر للوصول إلى الحق في المسائل المشتبهة .

ث- امتصاص الحماس والانفعال : إنَّ الحوار الهادئ يثمر في بعض الحالات تخفيف الاحتقان لدى بعض المخالفين، بسبب تشبعه بفكرة جامحة، أو تأثره بموقف راهن، فيعمد المحاور إلى امتصاص هذا الانفعال المكبوت بالحوار الراشد، وفي هذا الموقف الحواري النّبوي أوضح مثال عن هذا الهدف : ((عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال : إن فتى شاباً أتى النّبي (ﷺ) فقال :يا رسول الله، ائذن لي بالزنا ! فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه ! مه ! فقال : أدنه، فدنا منه قريباً . قال : فجلس . قال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله، جعلني الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال أفتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله ، جعلني فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم .

قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، حصّن فرجه . فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)) [١] .

ومن شواهد ذلك أيضاً، الحوار المؤثّر الذي جرى بين النَّبي(ﷺ) والأنصار إثر قسمة غنائم حنين .

((عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله (ﷺ) ما أفاء من أموال هوازن، فطفق النّبي (ﷺ) يعطي رجالاً المائة من الإبل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله (ﷺ)، يعطي قريشاً ، ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ! قال أنس : فحُدِّث رسول الله (ﷺ) بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار ، فجمعهم في قبة من أدم، ولم يدع معهم غيرهم . فلما اجتمعوا ، قام النّبي (ﷺ) فقال : ما حديث بلغني عنكم ؟ فقال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناس منّا ، حديثة أسنانهم ، فقالوا يغفر الله لرسول الله (ﷺ) ، يعطي قريشاً ، ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال النّبي (ﷺ) : فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم . أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون بالنّبي (ﷺ) إلى رحالكم ، فو الله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به . قالوا : يا رسول الله ، قد رضينا . فقال لهم النّبي (ﷺ) : ستجدون أثرة شديدة ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله (ﷺ) فإني على الحوض)) [٢] .

---

١ مسند الإمام أحمد : ٥/ ٢٥٦ .

٢ صحيح البخاري : ٤/ ١٥٧٤ .

٤- أهداف الحوار الإسلامي مع غير المسلمين :

((أ- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين هو في الحقيقة تطبيق لمبدأ الدعوة إلى الله تعالى .

ب- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين وسيلة فعالة لمواجهة الحملات التبشيرية .

ت- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين وسيلة فعالة ليلتقي المسلمون وغير المسلمين الذين يعيشون في بلد واحد لأجل جمع الكلمة وتوحيد الصفوف لمواجهة عدو مشترك يهدد المسلمين وغير المسلمين في ذلك البلد على السواء.

ث- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين وسيلة فعالة لمنع حدوث الفتن الطائفية التي يمكنها أن تمزق كيان الأمة الواحد، التي يعيش فيها المسلمون وغير المسلمين .

ج- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين يمكن توجيهه لإظهار الحقائق المتمثلة في الدين الإسلامي الحنيف ومحور الصورة المشوهة له عند غير المسلمين ومواجهة الافتراءات والادعاءات والتشويهات الباطلة التي ألحقها أعداء الإسلام به)) [١] .

---

١ عجك ، د. بسام داود : الحوار في الكتاب والسُّنة ، موقع رابطة العالم الإسلامي ، ص٢٤ -٢٥ .

٥- الإدارة والرقابة والتحكيم [١] :

هذا العنصر ضروري لتحسين أداء الحوار وضمان تحقيق أهدافه وتنفيذ نتائجه ، فالإدارة لا تدخل طرفاً في الحوار ، بل تتلخص مهمتها في تنظيم الحوار وضبطه وتوفير الفرص المتكافئة للمتحاورين ومراقبة أساليبهم ومناهجهم ، ثم التحكيم بينهم في حالات معينة وتفرض هذه المهام شروطاً ومواصفات في عنصر الإدارة والرقابة والتحكيم أهمها : المقبولية لدى كل أطراف الحوار كافة، والحياد والموضوعية ، والتجرد ، وحساب النتائج بدقة، وعدم تغليب طرف على حساب طرف آخر، إلاّ في حدود الحقيقة .

٦- مكان الحوار :

عدم وجود أي نوع من المؤثرات التي تنعكس سلباً على أحد الأطراف أو مجموعهم أو على المراقبين، هو ما ينبغي أن يكون عليه مكان الحوار.

---

١ الفقرات من ٥ إلى ٩ نقلاً عن محمد علي : قيم الحوار والتعايش ، مجلة الثقافة الإسلامية ، العدد ٩٦ ، رمضان ١٤٢٥ ، ص٢٠ -٢٣ .

٧- زمان الحوار :

هو عنصر مهم في اختيار الموضوعات والأهداف ، وينبغي في تحديد زمان الحوار مراعاة ظروف أطراف الحوار من النواحي الاجتماعية والنفسية والاستعداد العلمي ، وظروف انعكاس الحوار على الآخرين، وأهمية موضوع الحوار زمانياً، فربما يكون لموضوع الحوار أهمية خاصة ، في زمان ما ، ثم تعدم هذه الأهمية في زمان آخر.

٨- منهج الحوار :

هو النظام الذي يسلكه الحوار وفقاً لمجموعة من القواعد العامة ، ومن أهم معايير منهج الحوار العلمي في إطار الرؤية الثقافية الإسلامية :

أ- التعارف والتوعية : والمقصود منه تعّرف كل طرف على حدود معينة من حقائق الطرف المقابل ومعتقداته وآرائه ، من مصادرها نفسها، وليس من مصادر غيره، ولاسيما أعدائه ، بهدف الاحتجاج عليه بمصادرة نفسها .
ويدخل في هذا الإطار مبدأ التوعية، فالإسلام دين التوعية والتربية، وهو بمقتضى واقعيته وفطريته يقرر لزوم القيام بتوعية كل إنسان يراد له أن ينظم إلى معسكره ، وكل مجتمع يراد للإسلام أن ينفذ إلى عمقه . إنه يعرض جوهرته الثمينة، لأنه يعلم أن قيمتها ستتكشف بكل وضوح لجميع الناس، ولذا فهو يرفض عملية الإكراه العقائدي، ويدعو أتباعه إلى أن

يكونوا أقوياء في البصر والبصيرة ويأمر - في مجال التعامل مع الآخرين – بالدعوة البيّنة الواضحة قبل كل شيء .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣].

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

وبالنسبة للحوار مع غير المسلمين ، فإن البداية بحقائق الرسالة ومعالمها الرئيسية ، معززة بالحجج والبراهين ، وفي إطار النقاش المنطقي السليم .

ب- الوضوح : أي استخدام المنهج الصحيح بصورة واضحة دون لبس أو تورية أو التواء ، وعدم الخلط بين الحق والباطل .

ت- الموضوعية : ومن أبرز عناصرها : التجرد ونبذ التعصب والابتعاد عن القناعات المسبقة والمواقف المبيتة والأحكام المعدّة سلفاً خلال تنفيذ الحوار، حتى لو كانت أطراف الحوار على يقين مطلق بمعتقداتها ووجهات نظرها ، فهذا التجرد يخلق جواً من الصدق في الوصول إلى الحقيقة هدفاً نهائياً للحوار ، مهما كانت هذه الحقيقة ، على النحو الذي يدعو فيه النّبي (ﷺ) النصارى .

﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سبأ: ٢٤] .

ث- اعتماد المشتركات : لا بد من اكتشاف الحقائق والمرتكزات المشتركة بين الطرفين ، لتكون قاعدة رصينة يقف عليها المتحاورون، ومقدمات واقعية ينطلقون منها للوصول إلى حقائق كلية : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٦٤] .

٩- أسلوب الحوار :

يتعلق بسلوكيات المتحاورين ومؤهلاتهم ، كاللين والمرونة وضبط النفس والتوازن في المشاعر، إضافة إلى احترام مشاعر الآخر ومعتقداته ومحاورته بالحكمة والموعظة الحسنة وبالتي هي أحسن ، فهذه الأساليب كافية لتترك في نفسه انطباعاً جيداً عن شخصية المحاور وطبيعة أهدافه ومعتقداته ، أما الأساليب السَّلبية، كالتحريض وإثارة الفوضى والشغب، والتحامل والتشنج والتعصب الأعمى والتكبّر، واستخدام أسلوب المغالطة ، والانكماش والتهرب، والاستهزاء والسخرية، فهي مرفوضة في الحوار المنشود ، وقد نهى الله تعالى عن ذلك : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فكيف الحوار بين المسلمين أنفسهم .

١٠- آداب الحوار :

((أ- **مخاطبة المحاور بما يليق به :** فقد كتب رسول الله (ﷺ) إلى هرقل كتاباً صدّره بقوله : (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمّد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى) (١). فينبغي للمحاور أن يستعمل أسلوباً رفيعاً في الخطاب، لا ينحط إلى دركات المداهنة المذمومة ، والتملق المستهجن، وأن لا يتعالى إلى حد يورث النفرة والجفاء ، فيقطع طريق الدعوة .

ب- **حسن الاستماع والإصغاء، والإقبال على المحاور، وعدم مقاطعته :** ففي قصة محاورة عتبة بن ربيعة لنبّينا (ﷺ) ، أنه قال له : (قل يا أبا الوليد، أسمع) حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله (ﷺ) يستمع منه ، قال : (أفرغت يا أبا الوليد ؟) قال : نعم . قال (فاستمع مني) (٢) . فهكذا ينبغي أن يكون الحوار الرفيع .

ت- **التواضع للحق وقبوله ، وعدم التمادي في الباطل :** قال تعالى مثنياً على طائفة من عباده : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ

---

١ صحيح البخاري : ١/ ٦ .

٢ ابن هشام : السِّيرة النَّبوية : ١/ ٢٩٣ .

﴿ ٨٣ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ٨٤ ﴾ [المائدة: ٨٣-٨٤] .

إن المحاور المسكون بروح الكِبر بعيد عن الصواب، محروم من التوفيق ، لا يرى ، ولا يسمع ، ولا يفقه . فإذا أراد المحاور الوصول إلى الحق فليتضع ، فإن الحكمة ضالة المؤمن .

ث- الاستعلام والتثبت قبل إصدار الأحكام : فقد كان رسول الله (ﷺ) إذا رابه شيء استفهم ، ولو مع قوة القرينة، كما قال لحاطب بن أبي بلتعة لما بعث لقريش برسالة يخبرهم بمسير رسول الله (ﷺ) إليهم، عام الفتح : (ما حملك على ما صنعت ؟ قال حاطب : والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله (ﷺ) . أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي. وليس أحد من أصحابك إلاّ له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله . فقال النّبي (ﷺ) : صدق ، ولا تقولوا إلاَّ خيرا .

فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني فلأضرب عنقه .

فقال : أليس من أهل بدر ؟ فقال : لعلَّ الله اطلع إلى أهل بدر . فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم . فدمعت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم) [١] .

---

١ صحيح البخاري : ٤/ ١٤٦٣ .

ج- حسن العرض ، واستعمال الأقيسة العقلية المقنعة :

عن عمران بن حصين . قال : قال النّبي (ﷺ) لأبي : يا حصين ، كم تعبد اليوم إلهاً ؟ قال أبي : سبعة ، ستاً في الأرض ، وواحداً في السماء . قال : فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك ؟ قال : الذي في السّماء . قال : يا حصين ، أما إنك لو أسلمت علّمتك كلمتين تنفعانك . قال : فلما أسلم حصين . قال : يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني . فقال : قل : اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي) ([1]) .

---

١ سنن الترمذي : ج٥/ ص٥١٩ ، وانظر : القاضي ، د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان : الحوار في القرآن والسُّنّة ، موقع رابطة العالم الإسلامي .

١١- نتائج الحوار :

((وهي ما يترتب على الحوار بعد انتهائه من حقائق وأرقام جديدة تعلن عن تفوق أو انتصار أو براءة أحد أطراف الحوار، وتؤدي بالطرف الآخر إلى التحول في الرأي كلياً أو جزئياً أو تدفعه لمراجعة ذاتية لآرائه ومعتقداته التي تعرضت للنقد والاهتزاز والهزيمة ، وكذلك مراجعة أخرى لأساليبه ومنهجه وخطابه .

وقد ينتهي الحوار بتراضي الطرفين وتفاهمهما أو تساويهما في النصر والهزيمة ، أو إقدامهما على حالة وسط جديدة ، والمهم هنا هو قبول كل أطراف الحوار بالنتائج مهما كانت ، وعدم التعصب والاعتزاز بالخطأ)) ([1]) .

[1] علي ، محمد : قيم الحوار والتعايش ، مجلة الثقافة الإسلامية ، العدد ٩٦ ، رمضان ١٤٢٥ هـ ، ص٢٤ .

القسم الثالث

الحِوَار في القُرآن الكَرِيم

أولاً : الحوار والجدال في القرآن الكريم.

ثانياً : دعوة القُرآن الكريم إلى الحوار.

ثالثاً : عالمية الحوار القرآني .

رابعاً: الحوار مع الملائكة والجنّ .

خامساً : الحوار مع الأنبياء والرُّسل (عليهم السلام)، وحوارات الأنبياء مع الناس.

سادساً : الحوار مع المؤمنين .

سابعاً : الحوار مع أهل الكتاب .

ثامناً : أسئلة المسلمين واليهود والمشركين في القرآن الكريم.

الحوار في القُرآن الكريم

نَزلَ القرآن الكريم على رسول الله (ﷺ) في ثلاثة وعشرين عاماً، هي مدة الرسالة من حياته (ﷺ) بين مكة والمدينة، وأصبح هذا الكتاب دستور المسلمين ومصدر – التشريع الأول – لتنظيم حياتهم الدينية والدنيوية. وكان مع سُنَّة الرسول الكريم (ﷺ) الأساسَ لتنظيم علاقات المسلمين في مجتمعهم، وفيما بينهم وبين الآخرين من غير المسلمين، وفيما بينهم وبين الدول والشعوب الأُخرى.

لقد جاء القرآن الكريم في آيه بالكثير من الحوارات مع الأنبياء (عليهم السلام) والملائكة والجِنّ، والمؤمنين، وأهل الكتاب، والمشركين، وسواهم، كما سجَّل حوارات كثيرة في مناسبات مختلفة، ليعلمنا آدَاب الحِوَار، ويبيّن لنا قصص الأنبياء (عليهم السلام) ويرشدنا إلى اتخاذ الحوار سبيلاً للتفاهم الرشيد والفكر السديد،ومنهجاً فريداً للعمل المثمر.

أولاً- الحوار والجدال في القرآن الكريم

حفل القرآن الكريم بالكثير من المواقف الحوارية، التي بمعنى المراجعة والمرادّة في الكلام، بلغت ، كما أحصاها الباحث الدكتور " أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي "[١] قرابة مائةٍ وعشرين موقفاً حوارياً، شملت نحو ألف آية من كتاب الله، أي ما يعادل سدس آي القرآن الكريم .

وهنالك الكثير من الآيات الخطابية ذات الطّابع الحواري المصدّرة بـ ((يا أيُّها الناس))، و ((يا أهل الكتاب))، و((يا أيُّها الذين آمنوا)) ، وغيرها من آيات المسائلة والمحاجة التي لا يعقبها جواب، وآيات الإخبار عن المقالات التي لا تتضمن مراجعة في الكلام .

أما كلمة ((الحوار)) فقد وردت في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

١- في سورة الكهف : الآية (٣٤) ﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾.

٢- في سورة الكهف : الآية (٣٧) : ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ .

٣- في سورة المجادلة : الآية (١) : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾.

---

١ القاضي ، د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان : الحوار في القرآن والسُّنة : أسسه وأهدافه ، موقع رابطة العالم الإسلامي .

أمّا كلمة (جدال) فقد وردت في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعاً والمتتبع لمواضع هذه الكلمة يجد أن غالبيتها ترد في سياق عدم الرضا عنه ، أو عدم جدواه .

وكثرة ورود كلمة (جدال) في القرآن الكريم أكثر من كلمة حوار تشير إلى ظروف المسلمين الأوائل في زمن نزول الوحي الذين كانوا يعيشون في بيئة خصومة وتحديات وعداء .

ثانياً- دعوة القرآن الكريم إلى الحوار

القرآن الكريم هو كتاب الحوار، حيث طالب أتباعه أن يوصلوا كلمة الحق إلى جميع البشر وعلى مختلف مستوياتهم واتجاهاتهم .

((وكان شكل الحوار في القرآن الكريم من حيث كونه مراجعة الكلام بين طرفين، قد أخذ المسافة الأوسع من صفحات هذا الكتاب الكريم، وإن لم تستخدم كلمة (الحوار)، وإنما اسُتخدمت مادة (القول)، التي وردت في (١٧٢١) موضعاً، والملفت للنظر هنا أن كل كلمة تكلم بها الآخرون ردّ عليها القرآن الكريم وطالب النّبي (ﷺ) بأن يرد على كل فكرة عرضوها فكل كلمة (قالوا) في القرآن الكريم يوجد مقابلها كلمة (قل)، هم (قالوا) وأنت يا رسول الله (قل). وقد وردت كلمة (قالوا) في القرآن الكريم (٣٣٢) مرة، وكلمة (قل) بالعدد نفسه تماماً [١] .

---

١ عجك ، د. بسام داود : الحوار في الكتاب والسنُّة : مبادئه وأهدافه ، ص٧-٨، موقع رابطة العالم الإسلامي .

ثالثاً- عالمية الحوار القرآني

الإسلام دينٌ عالمي أراده الله تعالى للنَّاس كافة، حيث بدأت صورته الإنسانية ورسالته العالمية ودعوته الأممية تتشكل منذ نزول الوحي على الرسول الكريم (ﷺ) فارتفعت فيه مكانة عبد حبشي هو بلال مؤذن رسول الله (ﷺ) ومن أقرب الصحابة إليه، وكذلك صهيب الرومي، وسلمان الفارسي، والمولى زيد بن حارثة أحد قادة جيش مؤتة وابنُه أسامةُ قائد آخر جيش أعده الرسول (ﷺ) لتأديب الروم وتحرير بلاد الشام من حكمهم، وكان تحت قيادته عدد من كبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما).لقد تجلّت عالمية الحِوَار القرآني في الكثير من الآيات التي خاطبت النّاس كافة تأكيداً على الطابع الإنساني والوحدة الإنسانية للدين الإسلامي لأنّ الخلق كلهم عيال الله.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [الحجرات: ١٣].

هذه هي عالمية الحوار القرآني الذي يصل بإنسانية دعوته إلى درجة عظيمة من التأكيد على مبدأ إنسانية البشر جميعاً .

((فالخطاب موجّه في الآية الكريمة إلى النّاس كافة، وأية كلمة أوسعُ شمولاً في مدلولها الإنساني من كلمة الناس التي تشمل البشر جميعاً على اختلاف ألوانهم وقومياتهم وأديانهم وطبقاتهم. ثم يأتي التأكيد على محو كل تمييز بينهم مهما كان لونه فالكل من أب واحد وأم واحدة، ثم تكاثرتم يا بني آدم فكنتم شعوباً وقبائل .

ثم يأتي التأكيد على الهدف من خلقكم (لتعارفوا) وهل يكون هناك تعارف إلاَّ بتفاهم وتعايش وتآلف وتسامح وبصورة خاصة عندما يوضِّح الخالق العظيم صفة المتفوق عنده من هؤلاء البشر جميعاً، إنّه أتقاهم، وهل التقى إلاَّ العمل الصالح الذي يقرِّب العبد من الله ويحببه إليه)) [١] .

ويشير مفهوم التعارف الوارد في الآية الكريمة إلى الحوار لأنَّه لا تعارف دون حوار، فالتعارف يعني الاعتراف المتبادل بين الأطراف المختلفة بالمشتركات التي يمكن التلاقي حولها استناداً إلى طبيعة الإنسان الواحدة.

ويأتي الحوار في مواضع عديدة من القرآن الكريم في صيغة نداءٍ إلى الناس كلهم لعبادة ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم. ربهم الذي تفرَّد بالخلق، فوجب أن يتفرَّد بالعبادة .

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٤].

---

١ المبارك ، هاني/ أبو خليل، د. شوقي: الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، دار الفكر، دمشق ١٩٩٦،ص ١٨.

ويدعو القرآن الكريم - عبر لغة حوارية سامية – النّاس كافة إلى الإيمان برسالة رسول الله (ﷺ)، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠ ﴾ [النساء: ١٧٠] .

ففي هذه الآية الكريمة دعوة شاملة إلى الناس كافة أن الرسول الكريم (ﷺ) إنما جاءهم بالحق من ربهم . فمن آمن به فهو الخير . ومن كفر فإنَّ الله غني عنهم ، وقادر عليهم جميعاً ، وله ما في السماوات والأرض . وهو يعلم الأمر كله ، ويجريه وفق علمه وحكمته.

إنَّ عالمية الخطاب الحواري القرآني ترتبط ارتباطاً وثيقاً بطبيعة الإسلام كخاتم للديانات السَّماوية يؤمن بكل ما سبقه من تلك الديانات، وبكل من سبق الأنبياء والرسل ويحمل الإسلام الاحترام والتقدير للجميع ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ (سورة البقرة: من الآية ٢٨٥).

رابعاً- الحِوَار مع الملائكة والجِنّ

يدور الحوار في مواضع عديدةَ من كتاب الله العزيز مع الملائكة التي أمرها العليّ القدير أن تسلِّم الأرض للإنسان:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

[البقرة: ٣٠-٣٤] .

وقال تعالى في سورة الحجر:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحجر: ٢٨-٣١] .

وتفرّد الشيطان الرجيم بالكِبر والطغيان فعصى أمر ربّه:

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١ ﴾ [الحجر: ٣٢-٤١] .

وفي مكانٍ آخر من القرآن الكريم:

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨ ﴾ [الأعراف: ١٢-١٨] .

خامساً- الحوار مع الأنبياء والرُّسل (عليهم السلام)

وحوارات الأنبياء مع النَّاس

في القرآن الكريم حوارات كثيرة، منها ما جرى مع الأنبياء (عليهم السلام) ومنها ما جرى بين الأنبياء والناس .

قال الله تعالى مخاطباً آدم (عليه السلام):

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ ﴾ [الأعراف: ١٩] .

وفي مكان آخر من كتاب الله العزيز:

﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾ [البقرة: ٣٥-٣٧] .

وثمة حوارات أُخرى سجّلها القرآن الكريم، منها ما كان مع إبراهيم (عليه السلام) وخالقه العليّ القدير، ومنها ما كان مع إبراهيم ووالده وقومه .

وفي الآية الكريمة التالية من سورة البقرة ثمَّة سؤال سجَّله القرآن الكريم عن إبراهيم (عليه السلام)وفيها أيضاً الإجابة المحددة الواضحة من لدن العزيز الخبير:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾

[البقرة: ٢٦٠].

كما سجَّل القرآن الكريم حوارات النَّبي إبراهيم (عليه السلام) مع قومه.

قال تعالى:﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٠-٨٢].

ويقدّم القرآن الكريم الكثير من حوارات النَّبي إبراهيم (عليه السلام) المقنعة والهادفة مع أفرادٍ من قومه.

قال تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] .

وقد سجَّل القرآن الكريم حوار إبراهيم (عليه السلام) مع والده وهو يدعوه إلى الإيمان بالله الواحد الأحد:

قال تعالى:﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ ﴾

[مريم: ٤١-٤٧].

وسجّل القرآن الكريم في مواضع كثيرة من آيه الكريم حوارات النَّبي موسى (عليه السلام) مع قومه، قال تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾ [الأعراف: ١٢٩] .

ففي هذه الآية الكريمة يذكر لنا الله تعالى هذا الحوار، حيث قدّم موسى (عليه السلام) جوابه لبني إسرائيل حين استبطوؤا الفوز.

ومن حوارات النَّبي موسى (عليه السلام) مع قومه، ومن ثم دعوته العليّ القدير أن يفرق بينه وأخاه من جهة، وبين القوم الفاسقين من جهة أخرى نذكر ما جاء في سورة المائدة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ

فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المائدة: ٢٠-٢٦].

وسجّل القرآن الكريم في عددٍ من آيه حوارات النَّبي سليمان (عليه السلام) مع الإنس والجنّ والطَّير، وفي الآيات التالية من سورة النَّمل نقرأ حوار النَّبي سليمان (عليه السلام) مع الهدهد. قال تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل: ٢٠-٢٤].

وسجّل القرآن الكريم حوار النَّبي سليمان (عليه السلام) مع الجنّ.قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النمل: ٣٨-٣٩].

ومن حوارات النَّبي سليمان (عليه السلام) التي سجّلها القرآن الكريم حواره مع بلقيس ملكة سبأ.

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النمل: ٤٢].

وخاطب الله العليّ القدير رسوله المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) في عددٍ من آي الذكر الحكيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦] .

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ ﴾ (سورة المائدة: من الآية ١١٠).

كما سجَّل القرآن الكريم حوارات النَّبي عيسى (عليه السلام) مع الحواريين في عدةِ آيات.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [المائدة: ١١٢].

وخاطب الله العزيز الحكيم رسوله (ﷺ) في كثيرٍ من آي القرآن الكريم، ووجَّهه إلى التماس الحكمة والموعظة الحسنة في محاورة النَّاس والدعوة إلى الإيمان بالله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ

وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥].

لقد حدّد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة لرسوله (ﷺ) أُسس ومنطلقات الحوار والمناقشة والجدل الإيجابي الذي ترتكز عليه الدعوة إلى الله تعالى، ويقوم عليه كل حوار هادف وبنّاء.

وقد تمَّثل (ﷺ) هذه الآداب القرآنية السَّامية في كافة أحاديثه وخطبه ومحاوراته ورسائله ومواقفه.

وفي الآيات الكريمة التالية من سورة الأحزاب يبيّن الوحي الإلهي من لدن العليّ العزيز الحكيم جوانب حواريَّة أساسية هامة من رسالة رسوله (ﷺ):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨] .

وأمر الله تعالى رسوله (ﷺ) أن يحاور أزواجه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩] .

وقد بدأت آيات قرآنية كثيرة بالصيغة الحوارية (يا أيُّها النّبيُّ):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ ﴾ [الأحزاب: ١-٣]

لقد أحدثَ النَّبيُّ (ﷺ) بما آتاه الله من الفرقان والهدى والموعظة انقلاباً كبيراً في نفوس النَّاس باتخاذه الحوار والمناقشة والكلمة الجميلة سبلاً لإقناع النَّاس بالدعوة الإسلامية والإيمان بالله تعالى ونبذ الشِّرك والوثنية، وليس بالقوة والجبروت والسَّيف كما يدّعي غُلاة الغرب زوراً وبهتاناً وقَلْباً للحقائق وتشويهاً ظالماً لحقيقة الإسلام ورسالته الإنسانيّة السَّاميّة لكل البشر.

يقول المفكر الإسلامي ((جودت سعيد)):" لقد علَّم الأنبياء النَّاس -بهدي العَليّ القدير – كيف يفكّرون في الأشياء التي لم يُفكر فيها، إنّ الأنبياء هم الذين جاؤوا بمالم يُسمع به من قبل، إنهم هم القدوة في الإبداع والخروج عن المألوف، ومن أكبر إبداعاتهم أنهم لم يُطالبوا بأن يُسمح لهم بالتفكير والحديث والحوار، بل مارسوا التفكير عملياً "[1].

---

[1] سعيد، جودت: كُن كابن آدم، دار الفكر، دمشق ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ص ٤٩.

سادساً – الحِوَار مع المؤمنين

بدأت آيات قرآنية كثيرة بالصيغة الحوارية (يا أيُّها الذين آمنوا) وفيها بيَّن الله تعالى للمسلمين كافة أمور عقيدتهم وكافة أُمور حياتهم. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وقال تعالى محرّماً الرِّبا على المؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ ﴾ [آل عمران: ١٣٠] .

وبيّن الله تعالى للمسلمين أنّ محمّداً (ﷺ):﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] .

ففي هذه الآية من سورة آل عمران بيَّن الوحي الإلهي من لدن (ربِّ العالمين) للمؤمنين أنَّ محمَّداً (ﷺ) ليسَ إلاَّ رسولاً، سبقته الرُّسل، ومحمَّد سيموت كما مات الرُّسل قبله، والله باقٍ لا يموت، وكلمته باقية لا تموت .. وما ينبغي أن يرتدّ المؤمنون على أعقابهم إذا مات النَّبي الَّذي جاء ليبلغهم هذه الكلمة أو قتل .. وهذه حقيقة أولية بسيطة غفلوا عنها في زحمة الهول. وما ينبغي للمؤمنين أن يغفلوا عن هذه الحقيقة الأولية البسيطة!.

سابعاً- الحوار مع أهل الكتاب

أبطل الإسلام التمايز بين النّاس وجعلهم سواسية في إنسانيتهم، ((فهم جميعاً من آدم وحواء، ولذلك فالإسلام كخاتم للديانات السَّماوية يؤمن بكل ما سبقه من تلك الديانات، وبكل من سبق من الأنبياء والرُّسل ويحمل الإسلام الاحترام والتقدير للجميع)) ([1]).

قال تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

هكذا قام الإسلام على محبة وتقدير كافة الرَّسل والديانات السَّماوية وقبول التعددية العقائدية ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [الكافرون: ٦].

فهو لا ينكر على الآخرين بقاءهم على عقائدهم ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

لقد خاطب القرآن الكريم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ((ومَنْ في حكمهم)) في كثير من آيه الكريم بشأن اللقاء على وحدانية الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤ ﴾ [آل عمران: ٦٤] .

---

[1] المبارك، هاني / أبو خليل، د. شوقي: الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب ، دار الفكر ، دمشق ١٩٩٦م ،ص ١٦.

((إنَّ هذا الخطاب الإلهي يضع المرجعية العليا لبني البشر ضمن منظومةٍ أخلاقية كبرى، ذات مبادئ، يستطيع سائر بني البشر على اختلاف أجناسهم ومواقعهم وأديانهم أن ينضووا تحتها أو يضعوا أنفسهم في سياقها، إنَّه لا يطلب منهم اعتناق الإسلام بالقوة، بل يدعوهم للالتقاء مع المسلمين ضمن مبدأ التوحيد وضمن المشتركات الإنسانية ذات المعنى الأخلاقي الكبير كمبادئ المساواة والحرية والعدالة)) [١].

ومن أهل الكتاب الذين خصَّهم العَليّ القدير بندائه وخطابه بني إسرائيل. قال تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ * أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [البقرة: ٤٠-٤٨] .

---

١ السالمي، عبد الرحمن: المرجعية والدين والمجتمع، مجلة التسامح، العدد ١٧، شتاء٢٠٠٧، مسقط، ص٩.

ففي هذه الآيات الكريمة من سورة البقرة خاطب الله العليّ القدير بني إسرائيل بتوجيه نداءٍ جليل إليهم، يذكِّرهم بنعمته . تعالى . عليهم ويدعوهم إلى الوفاء بعهدهم معه ليوفي بعهده معهم،" وإلى تقواه وخشيته، يمهد بها لدعوتهم إلى الإيمان بما أنزله الله مصدِّقاً لما معهم. ويندد بموقفهم منه، وكفرهم به! كما يندّد بتلبيسهم الحق بالباطل وكتمان الحق ليموهوا على الناس – وعلى المسلمين خاصة – ويشيعوا الفتنة والبلبلة في الصف الإسلامي، والشك والارتياب في نفوس الداخلين في الإسلام الجديد. ويأمرهم أن يدخلوا في الصف. فيقيموا الصَّلاة ويؤتوا الزكاة ويركعوا مع الراكعين، مستعينين على قهر نفوسهم وتطويعها للاندماج في الدِّين الجديد بالصَّبر والصَّلاة. وينكر عليهم أن يكونوا يدعون المشركين إلى الإيمان، وهم في الوقت ذاته يأبون أن يدخلوا في دين الله مسلمين! ثم يبدأ في تذكيرهم بنعم الله التي أسبغها عليهم في تاريخهم الطويل. مخاطباً الحاضرين منهم كما لو كانوا هم الذين تلقوا هذه النعم على عهد موسى (عليه السلام) وذلك باعتبار أنهم أمة واحدة متضامنة الأجيال، متحدة الجبلة. كما هم في حقيقة الأمر وفق ما بدا من صفاتهم ومواقفهم في جميع العصور! ويعاود تخويفهم باليوم الذي يُخاف، حيث لا تجزي نفس عن نفس شيئاً، ولا يُقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها فدية، ولا يجدون من ينصرهم ويعصمهم من العذاب "[١] .

---

١ قطب، الشهيد سيد: في ظلال القرآن، المجلد الثاني، ص٨٠ –٨١.

وقال تعالى مخاطباً أهل الكتاب من النَّصارى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ ﴾ [النساء: ١٧١] .

وطلب الله تعالى من أهل الكتاب أن يعملوا بما جاء في التَّوراةِ والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربّهم: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٨ ﴾ [المائدة: ٦٨] .

وأمَرَ الله تعالى بفتح باب الحوار في الدِّين لأهل الكتاب، وفي فتح باب الحرية الدينية لهم : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

إنَّه الجدل المحمود الذي يُعتبر من أعظم الطاعات والقُربات إلى العليّ القدير، ذلك لأن الاختلاف سُنَّة الله في خَلقه، حيث يساعد على المزيد من الحوار في سبيل التفاهم وتقدّم الحضارة الإنسانية. قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ ﴾ [هود: ١١٨] .

وهكذا فالنظرة الإسلامية الإنسانية إلى أصحاب الديانات السَّماوية الأخرى نظرة متسامحة إلى أبعد الحدود تقوم على الحوار والتفاهم الذي دعت إليه آيات كثيرة في القرآن الكريم.

ثامناً- أسئلة المسلمين واليهود والمشركين في القرآن الكريم

"لقد اقتضت دعوة الناس إلى الله ونشر رسالة الإسلام أن يسأل الناس رسول الله (ﷺ) - عمَّا يعنّ لهم من أمور – وهم بصدد دين جديد سواء ذلك المشركون أو المسلمون، وإن اختلف القصد من السؤال، فالمشركون يسألون استهزاءً وسخرية وتعجيزاً، والمسلمون يستوضحون أمور دينهم، ليكونوا على بينةٍ من أمرهم، ولقد سجَّل القرآن الكريم بعضاً من هذه الأسئلة وأجاب عنها" [١].

"وأول سؤال سجّله القرآن الكريم عن المشركين في مكة كان عن الساعة، قالوا للنَّبي (ﷺ) إن كنت نبيَّاً حقاً فأخبرنا عن السَّاعة متى تقوم ؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٧] .

---

[١] إبراهيم، خليل محمد: يسألونك في القرآن، المجلة العربية، العدد ٣٦٩، الرياض شوال ١٤٢٨ هـ نوفمبر ٢٠٠٧م ، ص٧٦ .

وكانت الإجابة المحدَّدة الواضحة: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

أي قل لهم يا محمَّد: لا يعلم الوقت الذي تقوم فيه القيامة إلاّ الله سبحانه وتعالى"[١].

وسأل اليهود الرسول (ﷺ) عن ذي القرنين: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الكهف: ٨٣-٨٥] .

وسأل المسلمون رسول (ﷺ) أسئلة كثيرة أجاب عنها القرآن الكريم، منها سؤالهم عن الله عزَّ وجلَّ أين هو هل قريب أم بعيد؟ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾

(سورة البقرة: من الآية ١٨٦).

وبلغ عدد الأسئلة بلفظ (يسألونك ويستفتونك ويستنبئونك) تسعة عشر سؤالاً، منها سبعة سألها المشركون واليهود، وباقي الأسئلة كانت من المسلمين.

ويغلب الطَّابع الخطابي الحواري على كافة هذه الأسئلة وردودها من لدن الله العزيز الخبير.

---

١ المصدر السابق نفسه: الصفحة نفسها.

القسم الرابع

الحِوَار في مَنْهَج الشّورى

الحِوَار في مَنْهَج الشّورى

الشّورى إحدى القواعد الأساسية في نظام الحكم في الإسلام، والغاية منها منع الاستبداد في الرأي، أو الانفراد في اتخاذ القرار الذي يخصُّ جميع قضايا الأفراد والأمة.

نصَّ القرآن الكريم على الشّورى في آيتين، حيث خاطب الله تعالى فيها رسوله محمَّداً (ﷺ) وأمره بالمشاورة، قال تعالى:

﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

والأمر بالشّورى في الآية للوجوب، لأن الأصل في الأمر الوجوب، مالم يصرف عن ذلك بقرينة، ولا صارف له هنا .والآية الثانية جاءت في معرض صفات المؤمنين التي يلتزمونها ، وهي من شأنهم، قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨ ﴾ [الشورى: ٣٨] .

وسميت السُّورة كلها باسم الشّورى نظراً لأهميتها، ووجوب الالتزام بها، وقَرَنَها القرآن بالصَّلاة والزكاة واجتناب الفواحش ممَّا يدل على أهميتها الفائقة.

والتزم النّبي (ﷺ) بأمر ربّه، فكان يدعو للشّورى، ويشاور أصحابه في مختلف أمورهم الدينية والدنيوية، وقد وردت أحاديث كثيرة تفيد في

وجوب الشّورى، منها قوله (ﷺ): ((ما تَشَاوَر قوم إلاّ هدوا لأرشد أمورهم))[١].

و قال أبو هريرة (رضي الله عنه): ((لم يكن أحدٌ أكثر مشاورة من الرسول (ﷺ)))[٢].

وأعطى النَّبي (ﷺ) مبدأ الشّورى للحوار والمناقشة وتبادل الآراء أفقاً لا محدوداً، حيث استشار أصحابه الكرام في وقائع هامة كثيرة، واستمع لآرائهم، واستفاد من تجاربهم وخبراتهم، كاستشارتهم قبل موقعة بدر، في شهر رمضان من السَّنة الثانية للهجرة عندما علم (ﷺ) بخروج قريش من مكة بعددها وعُدَّتها، تريد القضاء على المسلمين في دار الهجرة فجمع صحابته من المهاجرين والأنصار، وعرض عليهم الموقف من مختلف نواحيه، ثم قال يطلب مشورتهم: ((أشيروا عليَّ أيها الناس)).

فقام أبو بكر الصِّدِّيق، ثم عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، فتحدثا ما شاء لهما إيمانهما، عن فريضة الجهاد والثقة في النصر، ثم قام (المقداد بن عمرو) وكان خرج من قريش ولحق بالمسلمين في سرية عبيدة بن الحارث ودنا من المصطفى، وقال: يا رسول الله، امضِ لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بني إسرائيل لموسى: (اذهبْ أنت وربُّك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا معكما مُقاتلون. فو الذي بعثك بالحقِّ لو سرتَ بنا إلى برك الِغماد-بأقصى الجنوب- لجالدنا معك دونه حتى تبلغه.

---

١ أخرجه البخاري – في الأدب – وعبد بن حميد، وابن المنذر عن الحسن، وروي مرفوعاً (الأدب المفرد ص٧٥ رقم ٢٥٨).

٢ رواه الشافعي وأحمد والترمذي (الأم: ٧/ ١٠٠).

دعا له المصطفى بخيرٍ، ثم التفت (ﷺ) إلى الأنصار ولم يكن أحد منهم قد تكلم بعد، وعاد يقول: ((أشيروا عليَّ أيها الناس)).

سأل نقيبهم ((سعد بن معاذ)): ((واللهِ لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟)).

أجاب المصطفى: ((أجل)).

فقال سعد: (فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت فنحن معك. فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منا رجلٌ واحد، وما نكره أن نلقى عدوَّنا غداً، إنا لُصُبرٌ في الحرب صُدُقٌ في اللقاء، لعل الله يُريك منَّا ما تَقَرُّ به عينُك، فسر بنا على بركة الله)) [١].

وهكذا سار بهم رسول الله (ﷺ) على بركة الله حتى نزل بماء بدر لتكون معركة بدر الكبرى التي غيرّت مجرى التاريخ الإسلامي بخاصة والتاريخ الإنساني بعامة، وقد قَبل (ﷺ) رأي الحبَّاب بن منذر بن الجموح في النزول قرب ماء بدر.

روى النّسائي عن مجاهد ((أنزل الله تعالى عليهم المطر، فأطفأ الغبار، وتلبدت به الأرض، وطابت به أنفسهم، جاء رسول الله بجيش الإيمان،فنزل على أقرب ماء من بدر،وعرض الأمر على الصَّحابة فجاء إليه الحبَّاب بن منذر بن الجموح وقال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله تعالى، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره أم هو الرأي والحرب والمكيدة.

---

١ سيرة ابن هشام ، ج٢،ص٣٠٠ وما بعدها.

قال رسول الله (ﷺ): بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال يا رسول الله هذا ليس بمنزل، فامضي بالناس، حتى تأتي أدنى ما عرف القوم، فتنزله ثم تغور ما وراءه من القلب، ثم تبني عليه حوضاً، فتملؤه ماء، ثم تفاءل القوم، فنشرب ولا يشربون)) [١].

ونتيجة هذا الحوار الهادف تراجع النَّبي (ﷺ) عن رأيه لصالح رأي الحبَّاب بن منذر بن الجموح انتصاراً للحوار والشّورى وقبولاً للرأي الآخر الأكثر صواباً.

واستشار رسول الله (ﷺ) أصحابه الكرام في أسرى بدر.

جاء في كتاب مختصر سيرة الرسول (ﷺ) لشيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهاب (رحمه الله) أنَّه استشار أصحابه في الأسرى، وهم سبعون. وكذلك القتلى سبعون أيضاً. فأشار الصِّدِّيق: أن يؤخذ منهم فدية، تكون لهم قوة، ويطلقهم، لعلّ الله يهديهم للإسلام.

فقال عمر: لا والله، ما أرى ذلك، ولكني أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديد الشّرك، فهدى رسول الله ما قال أبو بكر. فقال: ((إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليُلَيّنَ قلوب رجال فيه، حتى تكون ألين من اللين، وإن اللهَ عزَّ وجلَّ ليشدد قلوب رجال فيه،حتى تكون أشد من الحجارة، إنَّ مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم))[٢].

---

١ سنن النّسائي: الجزء السادس، باب الجهاد. أبو زهرة : محمَّد خاتم النبيين، ج٢، ص١١٣.

٢ شَيخ الإسلام : محمَّد بن عَبد الوَهاب ، مختصر سيرة الرسول (ﷺ)، ص١٥٨-١٥٩.

فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨].

واستشار النَّبي (ﷺ) صحابته الكرام (رضي الله عنهم) في أمر الخروج من المدينة قبل موقعة أحد.

قال شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهاب (يرحمه الله): ((استشار رسول الله (ﷺ) أصحابه في الخروج إليهم، وكان رأيه أن لا يخرجوا، فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه السكك ، والنساء من فوق البيوت، ووافقه عبد الله بن أبيّ – رأس المنافقين – على هذا الرأي، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة – ممن فاتهم بدر – وأشاروا على رسول الله (ﷺ) بالخروج، وألحوا عليه، فنهض ودخل بيته، ولبس لامته، وخرج عليهم، فقالوا: اسْتَكْرهنا رسول الله (ﷺ) على الخروج. ثم قالوا: إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل، فقال: ((ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه)). فخرج في ألف من أصحابه، واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم)) [١].

وهكذا أخذ (ﷺ) برأي الأكثرية من أصحابه في صورة عظيمة من أروع صور الحوار وقبول الرأي الآخر.

---

١ سيرة ابن هشام : الجزء الثالث ،ص٧-٨ .

واستشار النَّبي (ﷺ) صَحابته الكرام أيضاً يوم الأحزاب، وبادر إلى عقد مجلس استشاري أعلى، تناول فيه خطة الدفاع عن المدينة، وبعد محاورات ومناقشات عديدة مع الصَّحابة من أهل الشورى والرأي أخذَ برأي الصَّحابي سلمان الفارسي (رضي الله عنه). قال سلمان: يا رسول الله، إنَّا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خَنْدقْنَا علينا. وكانت خطة جديدة ومحكمة، فأسرع رسول الله (ﷺ) إلى تنفيذها، فوكل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعاً، وقام المسلمون بجد ونشاط يحفرون الخندق، ورسول الله (ﷺ) يحثهم ويساهم في عملهم هذا.

جاء في صحيح البخاري عن سهل بن سعد، قال: كنا مع رسول الله في الخندق، وهم يحفرون، ونحن ننقل التراب على أكتادنا(١)، فقال رسول الله (ﷺ): ((اللهم لا عيش إلاَّ عيش الآخرة، فاغفر للمهاجرين والأنصار))(٢).

واستشار النَّبي (ﷺ) أصحابه في كثير من الأمور الهامة والقضايا الملحّة.

وأراد (عليه أفضل الصلاة والسلام) بالمشاورة ((الاطلاع على رأي وجيه، وتقليب وجهات النظر في الموضوع، والانتباه إلى مختلف الجوانب، والأدلة والأحكام التي يتفطنُ لها الجماعة أكثر من الواحد، والقضاء على عادة جاهلية باطلة، وهي الاعتماد على زَجر الطير لاتخاذ القرار في الخروج والعمل، أو الإحجام والقعود)) (٣).

---

١ أكتادنا: جمع كتد ، وهو مجتمع الكتفين.

٢ صحيح البخاري: باب غزوة الخندق ٢/ ٥٨٨.

٣ الزحيلي، د. محمد: حقوق الإنسان في الإسلام، ص١٩٨.

وهكذا انبثق الحوار النّبوي من مبدأ الشّورى الذي جاء به القرآن الكريم، واتسعت ميادينه وتعددت مجالاته من قضايا الفرد والأسرة إلى قضايا الأمة وشؤون الحكم، إلاَّ ما ورد فيه نصٌّ قطعيٌّ فلا مجال فيه للشّورى إلاّ استثناء، أما الأمور الظنية فتجري فيها الشّورى باتفاق.

لقد أرسى النَّبي (ﷺ) أسس الحوار انطلاقاً من مبدأ الشّورى، وسار الصَّحابة (رضي الله عنهم) على طريق الحوار والمناقشة والإقناع وقبول الرأي الآخر، ((ابتداءً من مبايعة الخليفة الأول أبي بكر الصديق، ثم مبايعة أمير المؤمنين عمر بعد ترشيح أبي بكر، وكذلك التشاور في خلافة عثمان، والمبايعة عن رضا المسلمين في خلافة علّي، واتخذ أبو بكر بعضَ الصَّحابة مستشارين له، وكان عمر يجمع كبار الصَّحابة ويستشيرهم، حتى أجبرهم على البقاء في المدينة لتسهل مشاورتهم في أمور الدولة والمسلمين، وكذلك فعل عثمان وعليّ، وسائر الخلفاء))[١].

ولعل في إلحاح الرسول (ﷺ) على الحِوَار والشّورى والمناقشة الدليل الأكبر على رؤيته الشاملة والحكيمة وحرصه على حماية مصالح المسلمين وعدم جعلها حكراً على فرد، أو أسرة، أو طبقة، أو فئة، وإنما للأمة بأسرها.

---

١ المرجع السابق، ص١٩٩.

القسم الخامس

حِوَار النَّبي (ﷺ) مَعَ أزوَاجه وَأَقَاربه وَأصحَابه (رضي الله عنهم)

أولاً : الرسول (ﷺ) يحاور أزواجه .

ثانياً : الرسول (ﷺ) يحاور أقاربه .

ثالثاً : الرسول (ﷺ) يحاور أصحابه الكرام .

رابعاً : الرسول (ﷺ) يدعو الناس إلى الإسلام بالحوار والمناقشة والإقناع.

حِـــوَار النَّبـــي (ﷺ)
مع أزواجه وأقاربه وأصحابه (ﷺ)

حَاوَرَ رسول الله (ﷺ) أزواجه وأقاربه وأصحابه (ﷺ) في مختلف القضايا الحياتية والدينية، ففي صدر الدعوة الإسلامية ابتدرهم بالحوار والمناقشة والدعوة إلى عبادة الله الواحد دون سواهم من سائر الناس.

وقد استمر النَّبي (ﷺ) في محاورتهم ومناقشتهم في كافة الأمور الدينية والدنيوية حتى آخر يوم في حياته.

أولاً- الرسول (ﷺ) يُحَاور أزواجه

حَاورَ رسول الله (ﷺ) أزواجه ((أمهات المؤمنين)) بمختلف القضايا الدعوية والتعليمية والتوجيهية والإرشادية والاجتماعية واليومية .

لقد كان (ﷺ) لأزواجه نِعْمَ الزَّوج الصَّالح الذي يختلف إلى حجراتهن حاملاً معه الحبَّ الصادق والابتسامة الدافئة والحنان الفيَّاض والنُّصح الأمين والتوجيه السّديد.

وقد حفلت كتب السِّيرة النَّبوية والحديث الشريف بحواراته مع زوجته الوديعة خديجة (رضي الله عنها)، ولا سيما في المراحل الأولى من نزول الوحي وبدء الدعوة، فلمَّا توفاها الله كان (ﷺ) يحنّ إلى ذكراها العطرة وسجاياها الطيبة، ويُكثر من الثناء عليها في كل مناسبة. فذات يوم جاءته عجوز

طاعنة في السنّ، فأقبلَ عليها إقبالاً حميماً رائعاً، مما دفع زوجته عائشة (رضي الله عنها) إلى أن تسأله عمن تكون هذه العجوز؟ فقال برقة وحنان: ((إنها امرأة كانت تأتينا زمن خديجة)). فتحركت الغيرة في صدر عائشة، وصَدَرَ عنها كلام فيه استخفاف، فقالت: ((وهل كانت خديجة إلاَّ عجوزاً حمراء الشدقين! أبدلك الله خيراً منها)). فغضب (ﷺ) من قولها غضباً شديداً ظهر أثره في وجهه، وقال يعنّفها، ويذكر حقَّ خديجة وفضلها: ((لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء)) [١].

وكان يغلب على حوارات النَّبي (ﷺ) مع أزواجه الطّابع التوجيهي الإرشادي الذي يسمو بأخلاقهن وسلوكهن نحو مراتب الكمال في القول والعمل، وكان يتودّد إليهنّ ويخاطبهن بأسماء مرخّمة، كما كان يخاطب عائشة ويداعبها: يا عويش، ويا عائش مثلاً. ويحتملها وهي غضبى ، يخفف عنها سوء مزاجها، ويعيدها إلى جادة الصَّواب بكل مودة ورقّة ولطف.

قالت: ((دخل عليَّ (ﷺ) وأنا غضبى، فأخذ بطرف المفصل من أنفي فعركه، ثم قال: يا عويش، قولي، اللهم أغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان)) [٢].

وأكّد النَّبي (ﷺ) على الاعتدال في العبادة وحضَّ على دوامها.

---

١ صحيح البخاري : ٣٨١٦ ، صحيح مسلم : ٢٤٣٥ ، ٢٤٣٧.

٢ ابن السني :٠٦٢٢

دخل (ﷺ) على عائشة وعندها امرأة، قال: ((من هذه ؟)) قالت : ((هذه فلانة)) تذكر من صلاتها. قال: مه، عليكم بما تطيقون، فو الله لا يملّ حتى تملّوا)) [١].

وكان أحب الدّين إلى النَّبي (ﷺ) ما داوم صاحبه عليه.

وكان النّسوة من الصَّحابة يأتين الرسول (ﷺ) في حُجر زوجاته، يسألنه أو يسألهن، ومن ذلك أنَّ امرأة سألته في بيت عائشة عن غسلها من الحيض، فعلّمها كيف تغسل، قال: ((خذي فرصة من مسك فتطهري بها)). قالت: ((كيف أتطهر بها ؟)). قال: ((تطهري بها)) ، قالت: ((كيف ؟)) قال: ((سبحان الله! تطهري)) قالت عائشة (رضي الله عنها): ((فاجتذبتها إليَّ، فقلت تتبعي أثر الدم))[٢].

وتسأله عائشة (رضي الله عنها) فتقول: يا رسول الله إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال: ((قولي: اللهم إنك عفو تحبُّ العفو فاعف عنّي))[٣].

وهكذا كان أزواج النَّبي (ﷺ) يسألنه في كل أمورهن الدينية والدنيوية فيجيبهن بكل مودة ولطف.

---

١ صحيح البخاري :١١٥١، صحيح مسلم :٧٨٥.

٢ صحيح مسلم : ٣٣٢ .

٣ سنن الترمذي: ٣٥١٣.

ثانياً – الرسول (ﷺ) يُحَاور أقاربه

أول ما بدأ النَّبي (ﷺ) دعوته في ذوي قرابته، حيث جمعهم بعدما نزل عليه قول الله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] .

وروي أنّه (ﷺ) قال: ((يا عليّ، إنَّ الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فاصنع لنا يا عليّ شاة على صاع من طعام، وأعدّ لنا عسّ لبن، ثم ادع لي بني عبد المطلب)). قال عليّ(رضي الله عنه): ففعلت، فاجتمعوا له يومئذ، وهم أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصون، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب. فقدمت إليهم تلك الجفنة. فأخذ رسول الله (ﷺ) حُذية فشقها، ثم رمى بها في نواحيها، وقال: كلوا بسم الله، فأكل القوم ثم شربوا.. ثم قال رسول الله (ﷺ): ((يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ؟)) [١].

وكان من نتيجة هذا الحوار النَّبوي أن آزره معظم ذوي قرابته بطرق مختلفة إلاَّ أبا لهب فقد أمعن في إيذائه وتأليب الناس عليه. وقد كان لعمه أبي طالب الموقف الأهم في دعمه ونصرته (ﷺ) ولذلك صعد ذات يوم على الصفا، فعلا أعلاها حجراً، ثم هتف: ((يا صباحاه)). وكانت كلمة إنذار تحذر من وقوع أمرٍ جَلَلَ.ثم جعل ينادي بطون قريش، ويدعوهم قبائل

---

١ البداية والنهاية: ٣/ ٣٩.

قبائل: ((يا بني فهر، يا بني عدي، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب)).

فلما سمعوا قالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمَّد. فأسرع الناس إليه، حتى إن الرجل إذا لم يستطع أن يخرج إليه أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش .

فلما اجتمعوا، قال: ((أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي بسفح هذا الجبل تريد أن تغيرَ عليكم أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟)).

قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً، ما جربنا عليك إلاّ صدقاً.

قال: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدوّ فانطلق

يَرْبَأ أهله)) (أي يتطلع وينظر لهم من مكان مرتفع لئلاّ يدهمهم العدو) ((فخشي أن يسبقوه فجعل ينادي: يا صباحاه)).

ثم دعاهم إلى الحق، وأنذرهم من عذاب الله، فخصَّ وعمَّ فقال: ((يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله خيراً ولا نفعاً، ولا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا بني مرّة بن كعب ، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا معشر بني قصي، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً. يا معشر بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً، ولا أغني عنكم من الله شيئاً.

يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا معشر بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً، ولا أغني عنكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم، لا أملك لكم من الله شيئاً.

يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً.

يا صفية بنت عبد المطلب "عمة رسول الله " لا أغني عنكِ من الله شيئاً.

يا فاطمة بنت محمَّد رسول الله، سليني ما شئتِ من مالي، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكِ ضراً ولا نفعاً، ولا أغني عنكِ من الله شيئاً.

غير أن لكم رحماً سأُبلُّها ببلالها)) [1]. أي سأصلها حسب حقها.

وقد ظلَّ عليه أفضل الصَّلاة والسلام حتى آخر يوم في حياة عمِّه أبي طالب يحاوره بدعوة الإسلام،

روى البخاري في صحيحه: ((عن ابن شهاب قال اخبرني سعيدُ بن المسيَّب عن أبيه أنه أخبره أنَّه لَمَّا حضرت أبا طالب الوفاةُ جاء رسول اللهِ (ﷺ) فوجد عنده أبا جهل وهشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول الله (ﷺ) لأبي طالب: يا عمّ قُلْ لا إله إلاَّ اللهُ كلمةً أشهدُ لك بها عند الله.

---

[1] صحيح البخاري: ح(٢٧٥٣ ، ٣٥٢٥ ، ٣٥٢٧ ، ٤٧٧١)، (الفتح ٤٤٩/٥ ، ٦٣٧/٦ ، ٣٦٠/٨)، صحيح مسلم: ١١٤/١ ، وجامع الترمذي : ٣١٦/٥، ٣١٧ ، ح(٣١٨٤-٣١٨٦) ، والتأليف للمباركفوري: الرحيق المختوم ، ص٨٤-٨٥.

فقال أبو جهلٍ وعبد الله بن أبي أُميَّة: يا أبا طالب أترغبُ عن مِلّةِ عبد المطَّلب، فلم يزل رسول الله (ﷺ) يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالبٍ آخر ما كلَّمهم هو على ملَّةِ عبد المطَّلب وأبى أن يقول لا إله إلاَّ الله، فقال رسول الله (ﷺ): أما واللهِ لأستغفرنَّ لكَ مالم أُنهَ عنك)) [1].

فأنزل الله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ ﴾ [التوبة: ١١٣] .

كما حَاوَرَ رسول الله (ﷺ) عمّه العباس غير مرةٍ وعلَّمه أمور دينه وما ينفعه في أُخراه.

روى ابن ماجه في سننه: ((عن ابن عباس، قالَ: قال رسول الله (ﷺ) للعباس بن عبد المطلب: يا عبّاسُ! يا عمّاه! ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبوك، ألا أفعلُ لك عشرَ خصالٍ. إذا أنتَ فعلتَ ذلك غفر الله لكَ ذنبكَ أوَّله وآخره، وقديمه وحديثه، وخطأه، وعمده، وصغيره وكبيره، وسرّه وعلانيته. عشر خصالٍ: أن تُصلي أربع ركعاتٍ. تقرأ في كلِّ ركعةٍ بفاتحة الكتاب وسورةٍ. فإذا فرغت من القراءة في أوّلِ ركعةٍ قلتَ وأنتَ قائم. سبحان الله والحمدُ لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر. خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولُ ، وأنت راكعٌ عشراً. ثم ترفع رأسك من الرُّكوع فتقولها عشراً. ثمَّ تسجُد فتقولها عشراً. ثمَّ ترفع رأسك من السُّجود فتقولها عشراً. فذلك

---

١ صحيح البخاري : الجزء الثاني ، قسم الجنائز ، ص١١٩.

خمسةٌ وسبعون في كلِ ركعةٍ . تفعلُ في أربع ركعاتٍ. إن استطعت بأن تُصليها في كلِّ يومٍ مرَّة فافعل. فإنْ لم تستطع ففي كلِّ جمعة مرَّةً فإن لم تفعل ففي كلِّ شهر مرَّةً. فإن لم تفعل ففي عمرك مرَّة)) [١].

وكذلك حاور النَّبي (ﷺ) بناته، ومنهنَّ فاطمة، وأولاد عمّه ومنهم عليّ بن أبي طالب وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله والفضل ابني العباس (رضي الله عنهم) وغيرهم من ذوي قرابته.

وهذه فاطمة تسارع إلى أبيها لتطلب منه إحدى السبايا، تساعدها في أمور بيتها، فلم تستطع أن تذكر له شيئاً من حاجتها، فصمتت، وقالت له: ((جئت لأسلّم عليك)).

ثم اصطحبت عليّاً، فجاءاه، فذكرا له حاجتهما إلى خادم، فردهما ردّاً واضحاً.

فلما غادرا اهتم (ﷺ) لأمرهما، فلحق بهما متريثاً، فوافاهما في فراشهما وعليهما دثار، كانا إذ غطيا رؤوسهما به بدت أقدامهما، وإذا سترا أقدامهما تكشفت رؤوسهما.

وإذ أحسا به قاما له تعظيماً، فقال لهما: ((مكانكما، ألا أخبركما بخير مما سألتماني ؟ كلمات علمنيهن جبريل، تسبحان في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً ، وإذا أويتما إلى فراشكما تسبحان ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا أربعاً وثلاثين)) [٢].

---

١ سنن ابن ماجه: الجزء الأول، ح(١٣٨٧)، ص٤٤٣.

٢ صحيح البخاري: ٦٣١٨ ، صحيح مسلم: ٢٧٢٧.

وقد ابتهج النَّبي (ﷺ) ابتهاجاً عظيماً بولادة الحسن (رضي الله عنه)، فقال: ((أروني ابني)).

وفرح به لمَّا رُفع إليه، وسأل باهتمام: ((ماذا سميتموه ؟)). قال أبوه عليّ (رضي الله عنه): أسميناه حرباً. فقال برقة ولطف يعلّم أهله كيف يسمون الأسماء الصَّالحة، هي عادة النّبي (ﷺ) في الأسماء يغيّرها إذا لم تعجبه، ويريد أن يتفاءل بها: ((هذا الحسن)) وأذّن في أذنه بالصَّلاة[١].

واتخذت معظم حوارات النّبي (ﷺ) مع أقاربه طابعاً تعليمياً وتوجيهياً، ولاسيما مع الصغار منهم، فقد جيء إليه بتمر الصّدقة مرَّة وعنده الحسن بن عليّ، فأخذ تمرة فجعلها في فيه، فقال (ﷺ) ((كخ، كخ، ارم بها ... أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة ؟!))

وفي رواية أخرى: ((لا تحل لنا الصدقة)) [٢].

---

١ أبو داود :٥١٠٥ ، الترمذي : ١٥١٤.

٢ صحيح البخاري : ١٤٩١ ، صحيح مسلم :١٠٦٩.

ثالثاً- الرسول (ﷺ) يُحَاور أصحابه الكرام

كان الصَّحابة (رضي الله عنهم) محطّ نظر النّبي (ﷺ)، فقد كان يستقبلهم في مجلسه، ويزورهم في بيوتهم، ويحاورهم بقضايا الدعوة وقضاياهم الحياتية الهامة والملحّة، ويحدثهم بما يُصلح حالهم في الدنيا والآخرة، ويستمع لأسئلتهم ويردُّ عليها، ويخبرهم بما نزل عليه من الوحي.

لقد كان (ﷺ) حريصاً أشد الحرص على تعليمهم أصول دينهم بالمناقشة الهادئة والحوار الهادف

والكلمة اللطيفة، روى البخاري في صحيحه:

((عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما)، قال: قال لي رسول الله (ﷺ) يا عبد اللهِ ألم أُخبر أنّك تصومُ النَّهارَ وتقومُ اللَّيل فقلتُ بلى يا رسولَ الله، قال فلا تفعلْ صُمْ وأفطر وقُمْ ونم فإنَّ لجسدك عليك حقَّاً، وإنَّ لعينك عليك حقَّاً، وإن لزوجكَ عليك حقَّاً، وإنَّ لزورِكَ عليك حقَّاً، وإنَّ بحسبكَ أن تصومَ كلَّ شهرٍ ثلاثة أيَّام فإنَّ لكَ بكُلِّ حسنةٍ عشرَ أمثَالها فإنَّ ذلك صيامُ الدَّهر كُلِّه فَشَدَّدتُ فَشُدِّدَ عليَّ قلتُ يا رسول الله إنّي أجدُ قوَّةً، قالَ فصُم صيام نبيّ الله داود (عليه السلام) ولا تزد عليه، قلت وما كان صيام نبيَّ الله داود (عليه السلام)، قال نصف الدَّهرِ، فكان عبد اللهِ يقولُ بعدَما كبرَ يا ليتني قبلتُ رخصة النَّبي (ﷺ))) [1].

كما كان الرسول (ﷺ) يُصبّرُ صحابته الكرام (رضي الله تعالى عنهم) بالحوار الإيماني المقنع في أحلك ساعات الضيق والشدة.

---

١ صحيح البخاري: الجزء الثالث ، باب الصوم ، ص٥١.

قال الصِّدِّيق للرسول (ﷺ) عندما كانا متواريين في الغار عن أنظار المشركين: ((لو أنَّ أحدهم نظر إلى قدمه لرآنا)). فكان جوابه (ﷺ): ((لا تحزن إنَّ الله معنا))[١]. وفي لفظ: ((اسكت يا أبا بكر، اثنان، الله ثالثهما))، وفي لفظ آخر: ((ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما))[٢].

ففي أصعب ظروف الملاحقة والمطاردة كان رسول الله (ﷺ) يوقن بإيمان لا حدود له أنَّ الله لن يتركهما أبداً وسيجنبهما أذى المشركين.

وتعتبر تجربة المؤاخاة بين المسلمين تجربة حوارية فريدة بامتياز، حيث آخى رسول الله (ﷺ) بعد نزوله المدينة (١٢ ربيع الأول سنة ١ هـ) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار.

قال ابن القيم : ((ثم آخى رسول الله (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله (ﷻ) ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥] ردَّ التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة))[٣].

وسلك رسول الله (ﷺ) طريق الحوار والمناقشة بالموعظة والحكمة الحسنة للمؤاخاة بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، وذلك لأن الإخاء يتجاوز العصبيات الجاهلية ويكرّس الولاء للإسلام.

---

١ سيرة ابن هشام : الجزء الثاني ، تفصيل الهجرة.

٢ صحيح البخاري: ٥١٦/١ ، ٥٥٨ ، مسند أحمد ٤/١.

٣ زاد المعاد : ٥٦/٢

وتعد المؤاخاة بين المسلمين ثمرة عظيمة من ثمار الحوار النّبوي لتمتين وحدة الأمة الإسلامية وتوثيق عُرَى المحبة والثقة المتبادلة والتعاون والمواساة بين كافة أفرادها .

كما قام رسول الله (ﷺ) بعقد معاهدة بين المسلمين من قريش ويثرب أزاح بها ما كان بينهم من حزازات في الجاهلية، واستطاع بفضلها إيجاد وحدة إسلامية شاملة .

كما استخدم رسول الله (ﷺ) الحوار لتعليم عقيدة التوحيد، قال : مُعلِّماً معاذ بن جبل (رضي الله عنه) أصول عقيدة التوحيد: عبادة الله الواحد الأحد وعدم الشرك به شيئاً. روى البخاري في صحيحه: ((عن معاذ بن جبلٍ (رضي الله عنه) قال بينما أنا رديفُ النَّبي (ﷺ) ليس بيني وبينه إلاَّ الرَّحلِ، فقالَ يا معاذُ، قلتُ: لبَّيكَ يا رسول اللهِ وسعديكَ، ثَّم سارَ ساعةً ثَّم قال: يا معاذُ، قلتُ: لبَّيكَ يا رسول اللهِ وسعديكَ ، ثَّم سارَ ساعةً ، ثَّم قال: يا معاذُ بن جبلٍ ، قلتُ: لبَّيكَ يا رسول اللهِ وسعديكَ، قال: هل تدري ما حقُّ الله على عبادهِ؟ قلتُ: الله ورسولهُ أعلمُ، قال: حَقُّ اللهِ على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثَّم سارَ ساعةً،ثَّم قال: يا معاذُ بن جبلٍ ، قلتُ : لبَّيكَ يا رسول اللهِ وسعديكَ، قالَ: هل تدري ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوه؟ قلتُ: الله ورسولُهُ أعلمُ، قال: حقُّ العبادِ على اللهِ أن لا يُعَذِّبَهُمْ)) [١].

وحاور رسول الله (ﷺ) صحابته الكرام في ردّ سبي هوازن عندما قدم عليه وفدهم، وقد أسلموا وبايعوه بعد هزيمتهم في حنين في الليلة التي بين الثلاثاء والأربعاء لعشر خلون من شهر شوال سنة ٨ هـ

---

١ صحيح البخاري: الجزء الثامن، كتاب الدعوات، ص١٣٠ .

روى البخاري في صحيحه: ((عن مروان بن الحكم والمسورَ بنَ مخرمة أن رسول الله (ﷺ) قامَ حينَ جاءه وفد هوازنَ مسلمينَ فسألوهُ أن يردَّ إليهم أموالهمْ وسبيهمْ فقالَ لهمْ رسولُ الله (ﷺ): أحبُّ الحديث إليَّ أصدقه فاختاروا إحدى الطَّائفتين، إمَّا السَّبي وإمَّا المال، وقدْ كنتُ استأنيتُ بهمْ، وقد كان رسول الله (ﷺ) انتظرهم بضعَ عشرةَ ليلةً حينَ قفلَ من الطَّائفِ، فلَّما تبيَّنَ لهم أنَّ رسول الله (ﷺ) غير رادٍّ إليهمْ إلاَّ إحدى الطَّائفتين ، قالوا فإنَّا نختارُ سبينَا، فقامَ رسولُ الله (ﷺ) في المسلمينَ فأثنى على الله بما هو أهلُهُ، ثَّم قالَ: أمَّا بعدُ فإنَّ إخوانكمْ هؤلاء قد جاؤونا تائبينَ وإنّي قد رأيتُ أنْ أردَّ إليهم سبيُهم فمنْ أحبَّ منكم أنْ يُطيِّبَ بذلك فليفعلْ، ومنْ أحبَّ منكمْ أن يكونَ على حظَّه حتَّى نعطيه إيَّاه من أوَّلِ ما يُفيءُ اللهُ علينا فليفعلُ، فقالَ النَّاسُ: قد طيَّبنَا ذلك لرسول اللهِ (ﷺ) لهمْ فقالَ رسولُ الله (ﷺ): إنَّا لا ندري منْ أذنَ منكمْ في ذلكَ ممَّنْ لم يأذنْ فارجعوا حتَّى يرفعوا إلينا عُرَفاؤكم أمركمْ فرجعَ النَّاسُ فكلَّمَهَمْ عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسولْ اللهِ (ﷺ) فأخبروه أنَّهمْ قد طيَّبوا وأذِنوا)) [١].

واستخدم رسول الله (ﷺ) الحوار الهادف لفض المنازعات وإصلاح ذات البين بين صحابته عندما كانت تظهر بينهم بوادر الاختلاف والشقاق، كما حدث عندما أوشك فريقان من الأوس والخزرج على الاقتتال، فخرج إليهما فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم، فقال: ((يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهليّة وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله

---

١ صحيح البخاري : الجزء الثالث ، كتاب الوكالة ، ص١٣١.

للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألَّفَ به بين قلوبكم، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيدٌ من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله (ﷺ) سامعين مطيعين)) [١].

وتجلت حكمة النَّبي (ﷺ) في الحوار مع صحابته الكرام عندما كثر كلام الأنصار حول توزيع غنائم هوازن على قريش وقبائل العرب.

روى ابن هشام في سيرته قال: حدثني زياد بن عبد الله، قال حدثنا ابن إسحاق، قال: حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: ((لمّا أعطى رسول الله (ﷺ) من أعطى بتلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وَجَدتِ الأنصارُ في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه. فدخل عليه سعد بن عبادة، فذكر له ذلك. فقال رسول الله (ﷺ): ((فأين أنتَ من ذلك يا سعد؟)). قال:يا رسول الله ما أنا إلاّ من قومي. قال: ((فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة [٢])). فجاء رجال من المهاجرين . فتركهم فدخلوا. وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا، أتاه سعد فأخبره. فأتاهم رسول الله (ﷺ) فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله. ثم قال: ((يا معشر الأنصار، ما مقالة بلغتني عنكم؟ وجدَة وجدتموها في أنفسكم؟

---

١ سيرة ابن هشام: الجزء الثاني ،ص٢٠٥.

٢ الحظيرة : شبه الزريبة التي تصنع للإبل والماشية لتمنعها، وتكف عنها العوادي.

ألم آتِكُم ضُلاَّلاً. فهداكم الله بي؟ وعالةً فأغناكم الله بي وأعداءً فألَّف الله بين قلوبكم بي ؟)).

قالوا: الله ورسوله أمَنّ وأفضل.

ثم قال: ((ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟)).

قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله. ولله ولرسوله المنّ والفضل.

قال: ((أما والله، لو شئتم لقلتم فلَصَدَقتم ولصُدِّقَتم، أتيتنا مُكذَّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك [١].

أوجَدتْم عليَّ يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعة [٢] من الدنيا، تألفت بها قوماً ليُسْلِموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار: أن يذهب الناس بالشاء والبعير، وترجعون أنتم برسول الله إلى رحالكم؟ فو الذي نفس محمَّد بيده، لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، ولولا الهجرة لكنت أمرءاً من الأنصار. ولو سلك الناس شعباً ووادياً، وسلكت الأنصار شعباً ووادياً ، لسلكت شعب الأنصار ووواديها، الأنصار شعار، والناس دثار. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار)).

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قَسْماً وحظاً. ثم انصرف رسول الله (ﷺ) وتفرقوا))[٣].

---

١ آسيناك: أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا.

٢ اللعاعة: بقلة خضراء ناعمة، شبّه بها زهرة الدنيا ونعيمها.

٣سيرة ابن هشام: الجزء الرابع ، ص١٤١-١٤٢-١٤٣.

رابعاً – الرسول (ﷺ) يَدعو النَّاس إلى الإسلام بالحِـوَار والمُنَاقشة والإقنـاع

اتخذ رسول الله (ﷺ) الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة والمناقشة المقنعة منهجاً ثابتاً وطريقاً أساسياً لنشر الدعوة الإسلامية وتبليغ رسالة التوحيد إلى الناس كافة على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم الاجتماعية.

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن شدَّاد بن عبد الله. قال: قال أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة! بأي شيء تدَّعي أنَّك ربع الإسلام؟ قال: إني كنت في الجاهلية أرى الناس على ضلالة ولا أرى الأوثان شيئاً، ثم سمعت عن رجل يخبِّر أخباراً بمكة ويحدِّث أحاديث، فركبت راحلتي حتى قدمت مكة فإذا أنا برسول الله (ﷺ) مستخفياً، وإذ قومه عليه جرآء ، فتلطفت له فدخلت عليه فقلت: ما أنت ؟ قال: ((أنا نبيّ الله))، فقلت: وما نبيُّ الله؟ قال: ((رسول الله))، قال قلت: آلله أرسلك؟ قال: نعم، قلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: ((بأن يوحَّد الله ولا يُشرك به شيء، وكسر الأوثان، وصلة الرحم))، فقلت له: من معك على هذا؟ قال: ((حرٌ وعبد)) – أو عبد وحرّ – وإذا معه أبو بكر بن أبي قحافة وبلال مولى أبي بكر، قلت إني متبعك، قال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فالحق بي))، قال: فرجعت إلى أهلي وقد أسلمت، فخرج رسول الله (ﷺ) مهاجراً إلى المدينة، فجعلت أتخبَّر الأخبار حتى جاء رَكَبَة من يثرب، فقلت: ما هذا المكيّ الذي أتاكم؟: قالوا: أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك وحيل بينهم وبينه وتركنا الناسَ إليه سراعاً، قال عمرو بن عبسة: فركبت راحلتي

حتى قدمت عليه المدينة فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله! أتعرفني؟ قال: ((نعم، ألست أنت الذي أتيتني بمكة ؟)) قال قلت: بلى ،فقلت: يا رسول الله! علّمني ممّا علمك الله وأجهل – فذكر الحديث بطوله))[١].

وأخرج الحافظ ابن حجر في الإصابة عن عمران بن خالد بن طليق بن محمّد ابن عمران بن حصين ، قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده أن قريشاً جاءت إلى الحصين – وكانت تعظّمه – فقالوا له: كلّم لنا هذا الرجل فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم، فجاؤوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النَّبي (ﷺ)، فقال: ((أوسعوا للشيخ))- وعمران وأصحابه متوافرون – فقال حصين: ما هذا الذي بلغنا عنك: أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم وقد كان أبوك حصينة [٢] وخيراً ؟ فقال: يا حصين! إن أبي وأباك في النار، يا حصين ! كم تعبد من إله؟)) قال: سبعاً في الأرض وواحداً في السَّماء، قال: ((فإذا أصابك الضرّ من تدعو؟)) قال: الذي في السَّماء، قال: ((فيستجيب لك وحده وتشركهم معه، أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك؟ قال : ولا واحدة من هاتين، قال: وعلمت أني لم أكلم مثله، قال: ((يا حصين أسلم تسلم))، قال: إن لي قوماً وعشيرة فماذا أقول؟ قال: ((قل: اللهم!

---

١ مسند الإمام أحمد: الجزء الرابع، ص١١٢، وأخرجه أيضاً أحمد، ج٤، ص١١١، وأخرجه ابن سعد في طبقاته الكبرى، الجزء الرابع ،ص١٥٨.

٢ حصينة : عاقلاً متحصناً بدين آبائه وأجداده ومعتقداتهم.

أستهديك! لأرشد أمري وزدني علماً ينفعني))، فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم. فقام إليه عمران فقبَّل رأسه ويديه ورجليه، فلما رأى ذلك النَّبي (ﷺ) بكى وقال: ((بكيت من صنيع عمران، دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما أسلم قضى حقه فدخلني من ذلك الرِّقَّة)).

فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه: ((قوموا فَشيِّعوه [١] إلى منزله))، فلما خرج من سدة الباب رأته قريش فقالوا: صبأ وتفرقوا عنه)) [٢].

وأخرج ابن عبد البَرّ في الاستيعاب وصححه عن معاوية بن حيدة القشيري قال: أتيت رسول الله (ﷺ) فقلت: يا رسول الله! ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد الأنامل – وطبق بين كفيه إحداهما على الأخرى – أن لا آتيك ولا آتي دينك فقد أتيتك امرأً لا أعقل شيئاً إلاَّ ما علّمني الله وإني أسألك بوجه الله العظيم بم بعثكَ ربَّنا إلينا؟ قال: ((بدين الإسلام))، قال: وما دين الإسلام ؟ قال: ((أن تقول: أسلمت وجهي لله وتخليت، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وكل مسلم على مسلم محرّم أخوان نصيران، لا يقبل الله فمن أشرك بعدما أسلم عملاً حتى يفارق المشركين، مالي أمسك بحُجَزِكم عن النَّار! ألا وإن ربي داعيَّ وإنه سائلي هل بلّغت عبادي؟ فأقول: ربِّ قد بلّغت، ألا! فليبلّغ شاهدكم غائبكم، ألا! ثم إنكم تُدعون مُفْدَمةً أفواهكم

---

١ فشيِّعوه : كونوا في وداعه حتى يصل إلى منزله.

٢ الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر: الجزء الأول ، ص٣٣٧.

بالفِدام [١]، ثم إن أول شيء ينبئ عن أحدكم لفخذه وكفه))، قال: قلت: يا رسول الله! هذا ديننا؟ قال: ((هذا دينك وأينما تحسن يكفك)) [٢].

على هذا النحو العظيم من المحاورات العميقة والمناقشات الهادفة التي تفيض حكمة وإيماناً ورقة أدّى رسول الله (ﷺ) الأمانة وبلَّغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الغمة.

وبمثل هذه المعاني الإسلامية السَّامية واللغة الإنسانية الشفيفة حاور النَّبيّ (ﷺ) أزواجه وأصحابه وأقاربه والنَّاس كافة في مختلف أمور الدعوة والحياة الدنيوية والدينيّة.

١ في مجمع البحار (ج٢ص٦٣) : إنكم مدعوون يوم القيامة مفدمة أفواهكم بالفدام وهو ما يشد على فم إبريق وكوز من خرقة لتصفية الشراب أي يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم .

٢ الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البَرّ : الجزء الأول، ص٣٢٣ .

القسم السادس

حِوَار النَّبيّ (ﷺ) معَ وفود العَرب

حِوَار النَّبي (ﷺ) معَ وفود العَرب

في السنة السادسة للهجرة بدأت وفود القبائل العربية وغيرها، من داخل الجزيرة العربية وخارجها، تفدُ إلى رسول الله (ﷺ) فأسلَم منها الكثير عندما دعاها إلى الإسلام، وحَاورها بحلمه وتواضعه وأناته ورويته وحكمته، وعلَّمها تعاليم دينها الحنيف، وأجاب عن كافة استفساراتها وأسئلتها.

وكان رسول الله (ﷺ) يدعو النّاس إلى الإيمان بالله الواحد الأحد كلما اجتمع بهم، وخاصة في مواسم الحج.

روى ابن هشام في سيرته: ((كان رسول الله (ﷺ) يقف على منازل القبائل العربية، فيقول: يا بني فلان، إنّي رسولُ الله إليكم، يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتُصدّقوا بي، وتمنعوني، حتى أبيّن عن الله ما بعثني به)) [١].

كما كان رسول الله (ﷺ) يتحمل أعباء السَّفر وأذى المشركين فيقصد القبائل لتبليغ ما جاء به من الله من الهدى والرحمة بالحوار والحكمة والموعظة الحسنة، كما حدث معه عندما قصد الطائف يرافقه الصحابي زيد بن حارثة (رضي الله عنه) ليدعو أهلها إلى الإسلام، رغم معرفته (ﷺ) أنها لم تكن دار أمان للمسلمين ولم يكن فيها قاعدة إيمانية.

---

١ سيرة ابن هشام: الجزء الثاني ، ص٦٤.

أورد ابن سعد في طبقاته الكبرى: أن الرسول (ﷺ) التقى عدداً كبيراً من وفود القبائل العربية، وفي هذه اللقاءات كان رسول الله (ﷺ) يدعوهم إلى الإسلام ويحاورهم بالتي هي أحسن، ومن هذه الوفادات: ((وفد مزينة، و وفد أسد ، و وفد تميم ، و وفد عبس ، و وفد فزارة ، و وفد مرة ، و وفد ثعلبة ، و وفد محارب ، و وفد سعد بن بكر ، و وفد كِلاب ، و وفد رؤاس بن كِلاب، و وفد عقيل بن كعب، و وفد جعدة، و وفد قشير بن كعب ، و وفد بني البكَّاء ، و وفد كنانة ، و وفد بني عبد بن عدي ، و وفد أشجع ، و وفد باهلة ، و وفد سليم ،و وفد هلال بن عامر ، و وفد عامر بن صعصعة، و وفد ثقيف ، ووفود ربيعة : عبد القيس ، و وفد بكر بن وائل ، و وفد تغلب ، و وفد حنيفة ، و وفد شيبان ، و وفد طيء ، و وفد تُجيب ، و وفد خولان ، و وفد جعفي ، و وفد صُداء ، و وفد مراد ، و وفد زُبيد ، و وفد كندة ، و وفد الصَّدف ، و وفد خشين ، و وفد سعد هذيم ، و وفد بليّ ، و وفد بهراء ، و وفد عذرة ، و وفد سلامان ، و وفد جهينة ، و وفد كلب ، و وفد جرم ، و وفد الأزد ، و وفد غسان ، و وفد الحارث بن كعب ، و وفد همدان ، و وفد سعد العشيرة ، و وفد عنس ، و وفد الرهاويين من مذحج ، و وفد غامد، و وفد النخع ، و وفد بجيلة ، و وفد خثعم ، و وفد الأشعرين، و وفد حضرموت ، و وفد أزد عُمان ، و وفد غافق ، و وفد بارق ، و وفد دَوس ، و وفد ثُمالة والحُدَّان ، و وفد أسلم ، و وفد جذام ، و وفد مهرة ،و وفد حمِيّر ، و وفد نجران ، و وفد جيشان ...) [١].

---

١ طبقات ابن سعد: الجزء الأول ، ص٣٢١-٣٥٩ باختصار.

ومن حوارات رسول (ﷺ) الكثيرة مع هذه الوفود وسواها، والتي بذل فيها جهوداً تفوق الوصف، أقدم النماذج الحواريّة التالية التي تدل على إيثاره (ﷺ) للحوار والمناقشة والإقناع طريقاً ومنهجاً في الدعوة إلى الإسلام والتفاهم مع الآخر.

١- عندما قَدم عديّ بن حاتم الطائي على رسول الله (ﷺ) بعد أن أخذت له أخته الأمان من رسول الله (ﷺ). روى ابن سعد في طبقاته: ((خرج عديّ حتى قدم على رسول الله (ﷺ) فسلّم عليه وهو في المسجد ، فقال: مَنِ الرّجُلُ ؟ قال: عديّ ابن حاتم ، فانطلقَ به إلى بيته وألقى له وسادة محشّوة بليف وقال: اجلسْ عليها، فجلس رسول الله على الأرض، وعرض عليه الإسلام فأسْلَم عديّ، واستعمله رسول الله (ﷺ) على صدقات قومه))[١].

بأبي وأُمي وروحي أنتَ يا رسول الله تأخذ "عديّ بن حاتم" الذي قاتل المسلمين دفاعاً عن صنم طيء ((الفُلس)) إلى بيتك، وتقدم له الوسادة ليجلس عليها وتجلس قبالته على الأرض، ثم تحاوره بكل رفق، فتعرض عليه الإسلام فيُسلم، وكيف لا يُسلم بعدما رأى ما رأى من حِلم وأناة وتواضع ومحبة وحكمة ؟!.

٢- وهذا رسول الله (ﷺ) يستقبل وفد الصّدف، فيدخلون ويجلسون دون أن يُسلِّموا، فيُعلِّمهم (ﷺ) آداب التحية والكلمة اللطيفة والموعظة الحسنة

---

١ المرجع السابق، ص٣٢٢.

قائلاً: ((مسلمَون أنتم ؟ قالوا: نعم، قال: فهلاَّ سَلَّمتُم؟ فقاموا قياماً فقالوا: السَّلام عليك أيها النَّبي ورحمة الله! قال: وعليُكم السلام! اجلسوا، فجلسوا وسألوا رسول الله (ﷺ)، عن أوقات الصلاة فأخبرهم بها)) [١].

لقد كان (ﷺ) يعلِّمُ الناس أن السَّلام مفتاح القلوب ومنطلق المودة والتفاهم والحوار.

٣- والتقى رسول الله (ﷺ) وفداً من زعماء كلب. ((قال عبد عمرو بن جبلة ابن وائل بن الجُلاح الكلبي: شخصت أنا وعاصم، رجل من بني رقّاش من بني عامر، حتى أتينا النَّبي (ﷺ) فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، وقال: أنا النَّبي الأميّ الصّادق الزّكي والويلُ كلّ الويل لمن كذّبني وتولّى عنّي وقاتلني، والخير كلّ الخير لمن آواني ونصرني وآمن بي وصدَّق قولي وجاهد معي. قال: فنحن نؤمن بك ونصدّق قولك، فأسلمنا ..)) [٢].

٤- كان رسول الله (ﷺ) يتحرّى الرغبة النفسية في الإسلام لدى محاوريه من المسلمين الجدد. وفي حواره (ﷺ) مع رجل من وفد قبيلة عنس سأله (ﷺ): ((أراغباً جئت أم راهباً ؟ فقال: أما الرغبة فو الله ما في يديك مال، وأما الرَّهبة فو الله إنني ببلد ما تبلغه جيوشك، ولكني خُوّفت فخفت، وقيل لي آمن بالله فآمنت، فأقبل رسول الله (ﷺ) على القوم فقال: رُبَّ خطيبٍ من عنسٍ!)) [٣].

---

١ المرجع السابق نفسه: ص٣٢٩.

٢ نفسه: ص٣٣٤.

٣ طبقات ابن سعد: الجزء الأول، ص ٣٥٧.

٥- لقد كان (ﷺ) يتحرَّى في محاوراته صدق الإيمان لدى المسلمين الجدد، ويتضح ذلك من عدم قبوله لشروط بعض زعماء القبائل، ومنهم زعيم قبيلة بني عامر بن صعصعة فراس بن عبد الله بن سلمة الذي كان يبحث عن مجد وسيادة لقومه، عندما قال لرسول الله (ﷺ) : ((أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك)).

فأدرك عندها رسول الله (ﷺ) أن بني عامرٍ بن صعصعة لن يتبعوا الإسلام إيماناً واعتقاداً وإنما طلباً للسيادة في البلاد.

فردَّ عليه: ((الأمر لله يضعه حيث يشاء)) وقد تحقق رأي رسول الله (ﷺ) في بني عامر بن صعصعة عندما ردَّ عليه زعيمهم بقوله: ((أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بك)) [١] .

ورغم هذا الموقف السَّلبي لزعيم بني عامر بن صعصعة مَا تجهَّم في وجهه رسول الله (ﷺ) وَلاَ عبسَ، ولا ردَّ عليه ردَّاً قاسياً، بل ترك له مُطلق الحرية في الاختيار.

واستقبل رسول الله (ﷺ) عدداً كبيراً من الوفود من بلاد الحبشة وجنوب الجزيرة العربيّة وبلاد الشام وسواها من البلدان.

وسجلت كتب السِّيرة النَّبويّة، ومنها الطبقات الكبرى لابن سعد، والسِّيرة النَّبوية لابن هشام، وسواهما من كتب السِّيرة الأُخرى المحاورات المتعددة

---

[١] المدني ،د. صلاح الدين: صدر الإسلام ، ص٨٥-٨٦، طبقات ابن سعد: الجزء الأول، ص ٣٥٧.

التي أجراها رسول الله (ﷺ) مع أعضاء الوفود، حيث كان يُحْسِنُ إليهم ويكرمهم وينزلهم في المسجد بغض النظر عن الموقف الذي سيتخذونه.

كما بعث (ﷺ) وفوداً كثيرة تدعو القبائل العربية إلى الإيمان بالله الواحد، وكان يعُلِّمُ هذه الوفود آداب الحوار وأخلاقياته، وشروط الدعوة إلى الإسلام.

وعندما مَنَّ الله تعالى على رسوله الكريم (ﷺ) بفتح مكة تتابعت وفود العرب إليه من كل مكان تدخل في دين الله أفواجاً، كما قال العزيز الخبير:

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣ ﴾

[النصر: ١-٣].

كما سجّلت كتب السِّيرة الكثير من المواقف العظيمة لرسول الله (ﷺ) مع محاوريه من وفود القبائل العربية، حيث كان يحاورهم بلطف ورفق، ويبتسم في وجوههم بمودة، ويُطرِي عليهم بما هم أهلٌ له، وبما هو فيهم، ومن ذلك قوله لقيس بن مالك بن سعد الأرحبي من وفد همدان: ((نِعم وافدُ القومِ قيسٌ! وفيّتَ وفَّى الله بك!)) [١].

وقوله (ﷺ) في قبيلتي أسلم و غفار: ((أسلم سالمها الله وغفار غَفَر الله لها)) [٢].

---

١ طبقات ابن سعد: الجزء الأول، ص.٣٤.

٢ المصدر السابق نفسه، ص٣٥٤.

هكذا كانت كلمات رسول الله (ﷺ) ومُحَاوَرَاته الدافئة، تنفذُ إلى العقول وتستقر في القلوب كالبلسم الشَّافي، فتُحرك المشاعر الإيمانية العظيمة في النفوس.

لقد كان (ﷺ)، وما يزال المعلم الأول للحوار الشفيف والمناقشة الدافئة والحميمة مع الآخر.

وقد شهد له بذلك حتى أكثر فلاسفة العالم الغربي شِركاً وإلحاداً، قال الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" في حقِّ رسول الله (ﷺ): ((لو سمع أحدنا حديث محمَّد (ﷺ) إلى الناس بتلك اللغة العربية الفصحى وصوته المقنع المشبع الذي يؤثر في القلوب بياناً وبلاغاً لخرَّ ساجداً على الأرض)) [١].

[١] عثمان ، محمّد عثمان: محمَّد (ﷺ) في الآداب العالمية المنصفة، ص٦٣.

القسم السابع

مُحَاوَرات الرَّسول (ﷺ) مَعَ اليَهود وَالنَّصَارَى

مُحَاوَرَات رسول الله (ﷺ) مَعَ اليَهود وَالنَّصَارَى

حَاوَرَ رسول الله (ﷺ) أهل الكتاب من اليهود والنّصارى بصدر رحب كلما زاروه أو حدثت مناسبة للحوار.

لقد حَاوَرَهم بالتي هي أحسن، وهو في موقع القوة وهم في موقع الضعف، وهذه حالة إنسانية فريدة في تاريخ الأديان السَّماويّة خصوصاً وفي التاريخ الإنساني عموماً.

روى ابن هشام في سيرته: ((أتى رسول الله (ﷺ) رافع بن حارثة، وسلاّم بن مشكم، ومالك بن الصّيف، ورافع بن حريملة، فقالوا: يا محمَّد، ألست تزعُم أنَّك على ملّة إبراهيم ودينه، وتُؤمن بما عندنا من التّوراة، وتشهد أنها من الله حقّ؟ قال: بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها ممَّا أخذ الله عليكم من الميثاق فيها، وكتمتم منها ما أمركم أن تبيّنوه للنّاس، فبرئتُ من إحداثكم، فقالوا: فإنّا نأخذ بما في أيدينا، فإنّا على الهدى والحقّ، ولا نؤمن بك، ولا نتّبعك)) [١].

وروى ابن هشام في سيرته أيضاً: ((أتى رسول الله (ﷺ) محمود بن سيحان، ونعمان بن أضاء، وبحريّ بن عمرو، وعُزير بن أبي عُزير، وسلاّم بن مشكم، فقالوا: أحقٌّ يا محمَّد أن هذا الذي جئت به لحقّ من عند الله، فإنا لا نراه متسقاً كما تتسق التوراة؟ فقال لهم رسول الله (ﷺ): أما والله إنكم لتعرفون أنه من عنّد الله. تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة، ولو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به، فقالوا عند ذلك،

---

١ سيرة ابن هشام: الجزء الثاني، ص٢١٧.

وهم جميع: فِنْحاص، وعبد الله بن صوريا، وابن صَلُوبا، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وأشيع، وكعب بن أسد، وشمويل بن زيد، وجبل بن عمرو بن سُكينة: يا محمَّد أما يُعلّمك هذا إنس ولا جنّ؟ قال: فقال لهم رسول الله (ﷺ): أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله وأني لرسول الله، تجدون ذلك مكتوباً عندكم في التّوراة، فقالوا: يا محمَّد، فإنَّ الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء، ويَقْدر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتاباً من السَّماء نقرؤه ونَعرفه، وإلاّ جئناك بمثل ما تأتي به. فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨] [١].

وَسَجّلَ رسول الله (ﷺ) في ردوده على أسئلة اليهود واستفزازاتهم، التي وصلت في كثير من الأحيان حدَّ الوقاحة ومبلغَ الإساءة، أروع الصفحات الناصعة في الحِلم والصَّبر وسعة الصّدر ورحابة الأفق الفكري لسماع الرأي الآخر والردّ عليه.

وفي المحاورة التالية سنقرأُ كل هذه الملامح النبيلة والسِّمات الجليلة في حواره (ﷺ) مع أحد اليهود ومع الصحابي الجليل "الفاروق" عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

روى ابن سعد في طبقاته: ((أنّ يهودياً قال: ما كان بقي شيء من نعت رسول الله (ﷺ) في التوراة إلاَّ رأيته إلاَّ الحِلم، وإني أسلفته ثلاثين ديناراً إلى أجل معلوم، فتركته حتى إذا بقي من الأجل يومٌ أتيته فقلت: يا محمَّد

---

١ سيرة ابن هشام: الجزء الثاني، ص٢٢٠.

اقضِ حقي فإنّكم معاشر بن عبد المطّلب مَطْل، فقال عمر: يا يهوديّ الخبيث أما والله لولا مكانه لضربت الذي فيه عيناك! فقال رسول الله (ﷺ): غَفَرَ الله لك يا أبا حَفْص، نحنُ كُنّا إلى غير هذا منكَ أحوجَ إلى أن تكون أمرتني بقضاءِ ما عليَّ وهو إلى أن تكونَ أعنته في قضاء حقّهِ أحوجُ. قال: فلم يزده جهلي إلاّ حلماً، قال: يا يهوديّ إنّما يحلّ حقكَ غداً، ثمّ قال: يا أبا حفص اذهب به إلى الحائط الذي كان سألَ أوّل يومٍ فإن رضيته فأعطه كذا كذا صاعاً وزده لما قُلتَ له كذا كذا صاعاً فإن لم يرضَ فأعطه ذلك من حائطِ كذا كذا. فأتى بي إلى الحائط فرضي تمره، فأعطاه ما قال رسول الله (ﷺ) وما أمره من الزيادة، قال: فلما قبض اليهوديّ تمره قال: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أنّه رسول الله، ما حملني على ما رأيتني صنعتُ يا عمر إلاّ أني قد كُنت رأيتُ في رسول الله (ﷺ)، صفته في التَّوراة كلها إلاّ الحِلم، فاختبرتُ حِلمه اليوم فوجدته على ما وصِفَ في التَّوراة، وإني أشهدك أن هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين، فقال عمر فقلت: أو بعضهم، فقال: أو بعضهم، قال: وأسلم أهلُ بيت اليهوديّ كلهم إلاَّ شيخاً كان ابن مائة سنة)) [١].

هكذا كانت أخلاق رسول الله (ﷺ) الحميدة، وحِلمه وصبره وحواره المقنع سبباً في هداية هذا اليهودي ودخوله مع أسرته في دين الله. لقد تحمَّل رسول الله (ﷺ) الكثير الكثير من أسئلة اليهود الخبيثة التي قصدوا منها إحراجه، لكن خاب فألهم وضلَّ سعيهم، إذ كان (ﷺ) يردُّ على كل سؤال من

---

١ طبقات ابن سعد: الجزء الأول، ص٣٦١.

أسئلتهم الفاجرة بآياتٍ من القرآن الكريم، أو يحاججهم بالبراهين والحجج الدامغة، دون أن يحاسبهم أو يعاقبهم مرةً واحدة على أفكارهم وأسئلتهم، وإن تخطت حدود الأدب واللباقة في كثيرٍ من الأحيان كما رأينا.

روى ابن هشام في سيرته:((أتى رهط من اليهود إلى رسول الله (ﷺ) فسألوه معنتين: يا محمَّد، هذا اللهُ خلق الخَلق فمن خلقَ الله؟ فغضب النَّبي عليه الصلاة والسلام حتى تغيّر لونه، وهمَّ بهم يريد أن يبطش بهم غضباً لله سبحانه، ولكنه تمالك غضبه وراح يتلو: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١-٤] [١].

بأبي وأمي وروحي أنتَ يا رسول الله (ﷺ)، لقد كان بمقدوركَ أن تبطشَ بهؤلاء الفَجَرة الذين آذوا نبيّهم موسى (عليه السلام) من قبل، ولكنّك كعادتك دائماً آثَرتَ الحِلم والصَّبر وتلوتَ على أسماعهم سورة التوحيد (الإخلاص) لعلهم يعقلون.

وهنا نقول لمن يتهم الإسلام ورسوله الكريم (ﷺ) زوراً وبهتاناً بالتطرف والإرهاب: ماذا لو أن أحداً من المسلمين اليوم تجرأ بكلمةِ نقدٍ لرجلِ دينٍ يهودي أو مسيحي، هل سيحظى بالتسامح أم يُتهم فوراً بالإرهاب والتطرف ومعاداة الساميّة؟!.

ونذكر في هذا المجال المعاهدة التي عقدها رسول الله (ﷺ) مع اليهود بعد دخوله المدينة، وإقامة الوحدة العقدية والسياسية والنظامية بين

---

١ سيرة ابن هشام: الجزء الأول، ص٩١.

المسلمين، وتعتبر هذه المعاهدة ثمرة لحواراته(ﷺ)مع اليهود في بيت بنت الحارث حيث تم التفاهم على الخطوط العامة لبنودها .

وكان هدف رسول الله (ﷺ)من هذه المعاهدة تنظيم علاقات المسلمين باليهود، بغية توفير أجواء الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء، رغم أن اليهود كانوا يضمرون العداوة للمسلمين، ولكنه (ﷺ) لم يدخر جهداً في الحوار والمناقشة والنصح لاحتواء عداوتهم في سبيل التعايش والسلام، حيث ترك لهم مطلق الحرية الدينية والمالية وفيما يلي أهم بنود المعاهدة :

١- إنَّ يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم ومواليهم وأنفسهم، وكذلك لغير بني عوف من اليهود .

٢- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم .

٣- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

٤- وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم .

٥- وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه .

٦- وإن النصر للمظلوم .

٧- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٨- وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

٩- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإنَّ مرده إلى الله (ﷻ)، وإلى محمّد رسول الله (ﷺ) .

١٠- وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها .

١١- وإن بينهم النصر على من دَهَم .. على أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .

١٢- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم)) [١] .

وبهذه المعاهدة صارت المدينة وضواحيها دولة وفاقية يسودها الأمن والسلام، وفي ذلك الرد الحاسم على كل من يتهم الإسلام – زوراً وبهتاناً – بالديكتاتورية والعنف .

كما كان رسول الله (ﷺ) يرفض التفريق بين الأنبياء والرُّسل (عليهم السَّلام) ويؤكد على الإيمان بهم جميعاً.

جاء في صحيح البخاري: ((عن أبي سعيدٍ الخدريّ (رضي الله عنه)، قال: بينما رسولُ اللهِ (ﷺ) جالسٌ جاءَ يهوديٌّ، فقال: يا أبا القاسم ضربَ وجهي رجلٌ من أصحابكَ، فقالَ: مَنْ، قالَ: رجلٌ من الأنصار، قالَ: ادعُوه، فقالَ: أضربتهُ، قال: سمعتُهُ بالسُّوق يحلفُ والّذي اصطفى موسى على البشر، قلتُ: أيْ خبيث على محمَّدٍ (ﷺ) فأخذتني غضبة ضربتُ وجههُ، فقال النَّبي (ﷺ) : لا تُخيرّوا بينَ الأنبياء فإنَّ النَّاسَ يصعقونَ يومَ القيامةِ فأكونُ أوَّلَ منْ تنشقُّ عنهُ الأرضُ فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعِقَ، أم حوسبَ بالصعقة الأولى)) [٢] .

ورغم كل هذا التسامح العظيم الذي كان يبديه رسول الله (ﷺ) تجاه اليهود تآمروا على قتله غير مرة، وحرَّضوا القبائل العربيّة على قتاله.

---

١ ابن هشام : ١/ ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

٢ صحيح البخاري: الجزء الثالث، كتاب الوكالة، ص ١٥٩.

روى ابن سعد في طبقاته: ((أن رسول الله (ﷺ) خرج يوم السبت، فصلَّى في مسجد قباء ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم أتى بني النضير، فكلَّمهم أن يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن أمية الضَّمري، وكان لهما من رسول الله (ﷺ) جوار وعهد، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف، وذلك على ما رواه ابن اسحق وغيره، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت. وخلا بعضهم ببعض وهمّوا بالغدر. وقال عمرو بن جحاش النضري: أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة، وكان رسول الله (ﷺ) واقفاً إلى جنب جدار من بيوتهم.

وأضاف ابن سعد أن سلام بن مشكم (وهو من يهود بني النضير) قال لهم لا تفعلوا، والله ليُخبَرنَّ بما هممتم به وإنه لنقضُ العهد الذي بيننا وهذا ما حدث بالفعل، حيث جاء رسول الله (ﷺ) الخبر بما همّوا فنهض سريعاً، وأنجاه الله تعالى من تآمرهم ومكرهم وخداعهم.

ونتيجةً لهذه الخيانة الكبرى ونقض العهد تم إجلاء بني النضير عن المدينة في شهر ربيع الأول، سنة أربع للهجرة.

لقد حَاورَ النَّبي (ﷺ) اليهود بالكلمة الحَسَنة والموعظة الرقيقة وعاهدهم، فقابلوه بالغدر والخيانة، والتآمر على قتله، ففي السنة السابعة للهجرة، وفي حصن خيبر كَرَّرَت محاولة قتل رسول الله (ﷺ) امرأة يهوديَّة تدعى "زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم"، حيث دسّت له السّم في شاة

---

١ طبقات ابن سعد: الجزء الثالث، ص٩٩.

مشوية ودفعتها إليه بعد أن اطمأن رسول الله (ﷺ) بخيبر بعد فتحها، وقد سألت أي عضو أحب إلى رسول الله (ﷺ) ؟ فقيل لها: الذارع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله (ﷺ) تناول الذراع، فلاكَ منها مضغة فلم يسغها، ولفظها، ثم قال: ((إنَّ هذا العظم ليخبرني أنَّه مسموم))، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ((ما حملكِ على ذلك؟)) قالت: قلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيُخبر، فتجاوز عنها .

وكان معه بِشْر بن البراء بنَ معْرور، أخذ منها أكلة فأساغها فمات منها.

واختلفت الروايات في التجاوز عن المرأة وقتلها، وأجمعوا بأنه تجاوز عنها أولاً، فلما مات بِشْر قُتلت قصاصاً [١].

وفي مقابل هذا الغدر المتواصل ومؤامرات القتل اليهودية المتكررة، ساهمت حِوَارَات النّبي (ﷺ) بهداية بعض عامَّة اليهود وخاصَّتهم من كبار علماء الدين اليهودي، ومنهم عبد الله بن سلام.

ويشهد بذلك ما رواه البخاري في إسلام عبد الله بن سلام (رضي الله عنه)، فقد كان حبراً من أهم علماء اليهود، ولما سمع بمقدم رسول الله (ﷺ) المدينة في بني النجار جاءه مستعجلاً، وألقى إليه أسئلة لا يعلمها إلاّ نبيّ، ولما سمع ردود النَّبي (ﷺ) عليها آمن به من ساعته ومكانه، ثم قال له: إنَّ اليهود قوم بُهتٌ،

---

١ زاد المعاد لابن القيم ١٣٩,١٤٠/٢، وفتح الباري للحافظ ابن حجر: ٤٩٧/٧، وصحيح البخاري :٤٤٩/١، وسيرة ابن هشام:٢ /٣٣٧,٣٣٨.

إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بَهَتُوني عندك، فأرسل رسول الله (ﷺ) فجاءت اليهود، ودخل عبد الله بن سلام البيت. فقال رسول الله (ﷺ): ((أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟)) قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا - وفي لفظ: سيدنا وابن سيدنا – وفي لفظ آخر: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا – فقال رسول الله (ﷺ) : ((أفرأيتم إن أسلَمَ عبد الله؟)) فقالوا: أعاذه الله من ذلك (مرتين أو ثلاثا)، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأشهد أن محمّداً رسول الله، قالوا: شرّنا وابن شرّنا،ووقعوا فيه. وفي لفظ: فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فو الله الذي لا إله إلاَّ هو، إنكم لتعلمون أنَّه رسول الله، وأنَّه جاء بحق.
فقالوا: كذبت [١].

لقد سجَّل القرآن الكريم قتل اليهود لأنبيائهم وتكذيبهم والافتراء عليهم، وتحريف كلام الله، ولذلك فلا غرابة من محاولاتهم المتكررة قتل رسول الله (ﷺ) وخيانته وتكذيبه والسخرية منه والتآمر على قتله، فقد اتهم اليهود نبيَّهم داود (عليه السلام) بأنّه وقع تحت غواية الشيطان الرجيم. جاء في التوراة التي حرَّفها اليهود: ((ووقف الشيطان ضدَّ إسرائيل وأغوى داود ليُحصي إسرائيل)) [٢].

واتهموا النَّبي سليمان (عليه السلام) بما هو أمرّ وأدهى عندما كفّروه وفق ما جاء في التوراة التي حرَّفوها حسب رغباتهم ومصالحهم:

---

١ صحيح البخاري: الجزء الأول، ص٤٥٩، ٥٥٦، ٥٦١.
٢ التوراة: أخبار الأيَّام الأوَّل، الأصحاح الحادي والعشرون: ١.

((وكان في زمان شيخوخة سليمانَ أنَّ نساءهُ أملن قلبه وراء آلهةٍ أُخرى ولم يكن قلبه كاملاً معَ الرَّبِّ إلهَه كقلب داود أبيه)) [١].

وقد أدرك بعض علماء اليهود حقيقة رسالة الإسلام السَّامية، فتحدثوا ببعض التجرد والموضوعية، ومنهم العالم الفيزيائي "آلبرت أينشتاين" الذي تحدَّثَ عن حكمة النَّبي محمَّد (ﷺ) في دعوته لليهود وحواره معهم [٢].

كما يُشيد المؤرخ اليهودي"إسرائيل ولفنسون" في كتابه ((تاريخ اليهود ببلاد العرب)) بموقف النَّبي (ﷺ) عندما أعطى اليهود صحف التوراة التي تركوها في حصون خيبر بعد أن عادوا يطلبونها قائلاً: ((لم يتعرض الرسول (ﷺ) بسوء لصحفهم المقّدسة، ويذكرون بإزاء ذلك ما فعله الرومان حيث تغلّبوا على أُورشليم وفتحوها سنة ٧٠م، وداسوها بأرجلهم، وما فعله المتعصبون من النصارى، حيث أحرقوا أيضاً صحف التّوراة، هذا هو البون الشاسع بين الغزاة ممن ذكرناهم وبين رسول الإسلام)) [٣].

وكما حَاوَرَ النّبي (ﷺ) اليهود حَاورَ النصارى كذلك، وإن كانت محاوراته معهم أقل من مُحَاوَرَاته مَعَ اليهود، ويرجع ذلك إلى عدم وجودهم في مكة والمدينة، خلا بعض الأماكن في جنوب الجزيرة العربية كنجران وسواها.

---

١ التوراة: الملوك الأوَّل، الأصحاح الحادي عشر: ٤، ٥.

٢ عثمان، محمّد عثمان: محمّد (ﷺ) في الآداب العالمية المنصفة، ص٨٢.

٣ ولفنسون، إسرائيل: تاريخ اليهود ببلاد العرب، ص١٧٠.

ويعتبر وفد نصارى الحبشة الذي وَفدَ مع جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) لدى عودته من الحبشة إلى مكة أول وفد جاء رسول الله (ﷺ)، ((وكانوا بضعة وثلاثين رجلاً، فلما جلسوا إلى رسول الله (ﷺ) واطّلعوا على صفاته وأحواله وسمعوا ما تُلي عليهم من القرآن الكريم، آمنوا كلهم، فلما علم بذلك أبو جهل أقبل إليهم قائلاً: ما رأينا ركباً أحمق منكم! .. أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال. فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً.

فنزل في حقهم قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٥٤ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٥٥ ﴾

[القصص: ٥٢-٥٥] [1].

وروى ابن هشام في سيرته: ((حين اجتمعت الأحبار من يهود، والنّصارى من أهل نجران، عند رسول الله (ﷺ) ودعاهم إلى الإسلام، قالوا: أتريد منّا يا محمّد أن نعبدك كما تعبد النّصارى عيسى بن مريم؟ وقال رجلّ من أهل

---

[1] البوطي، د. محمد سعيد رمضان: فقه السِّيرة، ص١٢٦، ١٢٧، نقلاً عن رواية ابن إسحاق ومقاتل.

نجران نصرانّي، يقال له الرِّبيس، ويروى: الريس، والرئيس: أو ذاك تريد مّنا يا محمّد وإليه تدعونا، أو كما قال: فقال رسول الله (ﷺ): معاذَ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره، فما بذلك بعثني، ولا أمرني)) [١].

لقد كان هذا الحِوَار جَانباً من حِوَار طَويل دَارَ بين رسول الله (ﷺ) ووفد نَصارى نجران الذين قَدِموا المدينة وَمَكثوا فيها أياماً يُحَاورونَ رسول الله (ﷺ)، وقد أذن لهم بالصَّلاة في مسجده، وقال لأصحابه: ((دَعُوهم)) [٢].

كَمَا مثَّلت كُتب النَّبي (ﷺ) إلى ملوك النّصارى كالنجاشي ملك الحبشة وهرقل ملك الرومان، والمقوقس عظيم القِبط، وسواهم ، جانباً هاماً من جوانب حواره (ﷺ) مع النّصارى، حيث بيّن لهم موقف الإسلام العظيم من غير المسلمين، ما داموا مسالمين ومعاهدين، تبعاً لقاعدة أساسية في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

روى الطّبري في تفسيره أن نصارى نجران قالوا لرسول الله (ﷺ): ألست تزعم أن المسيح كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى. قالوا: فحسبنا [٣].

وهكذا كان رسول الله (ﷺ) المتسامح الأول مع أتباع الديانات السَّماوية الأُخرى بشهادة فئة من عُلماء الغَرب وأُدبائه وكتَّابه أنصفوا حقيقة

---

١ سيرة ابن هشام: الجزء الثاني، ص٢٠٢.

٢ أورده ابن هشام في سيرته: الجزء الأول: ٥١١ ، وذكر مثله ابن القيم في زاد المعاد: ٦٣٠/٣ .

٣ رواه الطبري في تفسيره: الجزء الثالث،ص١٧٧.

التسامح العظيم في الدّين الإسلامي عموماً، وفي شخصية رسول الله (ﷺ) خصوصاً، ((وأعلن بعضهم إسلامه ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: بوركهارت، وكرنكوف، وجرمانس، وليوبولد فايس، وفانسان مونتيه الذي يقول: إن من أسباب اعتناقي الإسلام، تسامحه تجاه أبناء الديانات الأخرى)) [١].

وسوفَ يَطَّلع القارئ الكريم على المزيد من آراء هَؤلاء العُلماء والأدَباء الذين أنصفوا حقيقة تسامح الدِّين الإسلامي ورسوله الكريم مُحَمَّد (ﷺ) في القسم السادس عشر.

١ المبارك، د.هاني/ أبو خليل ، د. شوقي : التسامح في الإسلام، ص١٢٣.

القسم الثامن

حِوَار النَّبي (ﷺ) مَعَ المُشرِكين

حِوَار النَّبي (ﷺ) معَ المُشركين

حَاوَرَ رسول الله (ﷺ) المُشركين من عَبَدَة الأوثان من قريش ،ومن سائر القبائل في الجزيرة العربية بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والاستشهاد بآيات القرآن الكريم والتأكيد على وحدانية الله تعالى.

لقد كانت محاوراته (ﷺ) تنطوي على جانب دعوي بالدرجة الأولى، وقد كان يتحمل بسببها الكثير من الغِلظة والجفاء والردّ القاسي في غالب الأحيان.

كما كان بعض المشركين يتودَّدُ إلى رسوله الله (ﷺ) بالكلام اللين اللطيف لعلّه يُقنعه بالعدول عن دعوته، كما في الحوار التالي بين النَّبي (ﷺ) وعتبة بن ربيعة.

((قال ابن إسحاق: وحدَّثني يزيد بن زياد عن محمَّد بن كعب القرظيّ قال: حُدِّثت أن عُتبة بن ربيعة، وكان سيّداً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله (ﷺ) جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمَّد فأكلِّمه وأعرض عليه أموراً لعلّه يقبل ببعضها فنعطيه أيّها شاء، ويكّف عنَّا؟ وذلك حين أسْلَم حمزةُ ورأوا أصحاب رسول الله (ﷺ) فقال: يا بن أخي، إنك منّا حيث علمت من السِّطة [١] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعِبْت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منِّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها[٢] بعضها. قال له رسول

١السِّطة: الشرف. وفي سائر الأصول (البسطة).

٢منها: "منَّا ".

الله (ﷺ): قل يا أبا الوليد ، أسْمَع، قال:يا بن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنتَ تريد به شرفاً سوّدناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به مُلكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا [١] لا تستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطبَّ .

وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه، فإنه ربما غلب التابعُ على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له. حتى إذا فرغ عتبةُ، ورسول الله (ﷺ) يستمع منه، قال: أقد فرغتَ يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال فاسمع منّي، قال: أفعل، فقال: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ ﴾ [فصلت: ١-٥].

ثم مضى رسول الله (ﷺ) فيها يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عتبةُ أنصت لها وألقى يديه خلفَ ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله (ﷺ) إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك)) [٢].

وسرعان ما ظهر أثر القرآن الكريم وحديث النَّبي (ﷺ) سريعاً على عتبة بن ربيعة، إذ مضى إلى قومه، وبدا عليه التأثر الشديد حيث قال لهم: " قد

---

١ الرئى: بفتح الراء وكسرها: ما يتراءى للإنسان من الجنّ.

٢ سيرة ابن هشام: الجزء الأول، ص٣١٣-٣١٤.

سمعتُ قولاً والله ما سمعتُ مثلهَ قطُّ ، والله ما هو بالشِّعر ولا بالسّحر ولا بالكهانة، يا معشرَ قُريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فو الله ليكوننّ لقوله الذي سمعتُ منه نبأٌ عظيم [١].

ونتيجة هذا الموقف من عتبة بن ربيعة تلقّى توبيخاً شديداً من المُشركين، فظلَّ على شِركِه و وثنيته.

ويتميز حِوَار النَّبي (ﷺ) مع المُشركين كسائر حِوَارَاته معَ الناس كافة بالمرونة والتسامح، كما يتضح ذلك من حِوَارَات عديدة، منها حِوَاره مع سهيل بن عمرو أثناء كتابة بنود صلح الحديبية. ((قال سهيل بن عمرو: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً. فدعا الكاتب - وهو عليَّ بن أبي طالب – فقال ((اكتب: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم)) فقال سهيل: أما الرَّحمن، فما أدري ما هو؟ ولكن اكتب ((باسمك اللهم)) كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلاَّ ((بسم الله الرَّحمن الرَّحيم)) فقال (ﷺ): ((اكتب باسمك اللّهم)) ثم قال: ((اكتب: هذا ما قاضى عليه مُحَمَّد رسول الله)) فقال سهيل: والله لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولكن اكتب ((مُحَمَّد بن عبد الله)) فقال: ((إني رسول الله، وإن كذبتموني، اكتب مُحَمَّد بن عبد الله)) ثم قال النَّبي (ﷺ): ((على أن تخلوا بيننا وبين البيت فَنطَّوف به)) فقال سهيل: والله لاتحدَّثُ أننا أُخذنا ضُغطة، ولكن ذاك من العام المقبل. فقال سهيل: ((وعلى أن لا يأتيك رجل منّا، وإن كان على

---

١ المصدر السابق نفسه: ص٣١٤.

دينك، إلاَّ رددته إلينا)) فقال المسلمون: ((سبحان الله! كيف يُرد إلى المُشركين وقد جاء مُسلماً)) [١].

وقد كان تأثير حَديث رسول الله (ﷺ) وَحِوَاره مع المشركين كبيراً حتى أن بعضهم صلّى معه مرة في المسجد الحرام.

كما كان بعضهم الآخر يسمع القُرآن الكريم وينصتُ لحديث النَّبي (ﷺ)، وهذا بحدِّ ذاته يعدُّ نجاحاً عَظيماً لِمنْهَجِ النَّبي (ﷺ) في الحِوَارِ مَعَ المُشركين.

ومن أروع صور عَظَمة النَّبي (ﷺ) أنَّ أساليب مُحَاوَراته الهادئة والعميقة والمتسامحة مع المشركين لم تختلف أبداً عندما مَنَّ الله عليه بالنّصر المظفر يوم فتح مكة.

وهاهو (ﷺ) يُحَاور أبا سفيان بعد أن مكّنه الله تعالى من فتح مكة بكل حِلم وتواضع ومرونة كعادته دائماً قائلاً له: ((ويحك يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تعلم: أن لا إله إلاَّ الله؟)) قال: بأبي أنتَ وأمي، ما أحْلَمَكَ وأكرَمك وأوصَلك!! لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد. قال: ((ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم: أني رسول الله ؟)).

قال: بأبي أنت وأمي، ما أحْلَمَكَ وأكرَمك وأوصَلك. أما هذه ففي النَّفس حتى الآن منها شيء)) [٢].

---

١ شَيخ الإسلام، مُحَمَّد بن عَبد الوَهاب: مُخْتَصر سِيرة الرسول (ﷺ)، ص١٨١، حديث صلح الحديبية، رواه أحمد والبخاري.

٢ شَيخ الإسلام، مُحَمَّد بن عَبد الوَهاب: مختصر سيرة الرسول (ﷺ)، ص١٩٩.

ورغم هذا الرد كان رسول الله (ﷺ) أكثر تسامحاً معه وقَبل إسلامه وأكرمه قائلاً: ((من دَخل دار أبي سفيان فهو آمِن، وَمَنْ أغلق عليه بابه فهو آمِن، ومن دَخَلَ المسجد فهو آمِن)) [١].

وقد شكّلت مُفَاوَضَات النَّبي (ﷺ) معَ المُشركين جَانباً هَاماً من مُحَاوَراته وَمُنَاقشاته معهم.

ومن أروع الأمثلة على ذلك توظيفه (ﷺ) الرسائل الشَّفهية عبر وسطاء وحوَاره التمهيدي لصلح الحديبية وصولاً إلى مُفَاوَضَاته المباشرة معهم، والتي أسفرت عن عقد صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة.

وهكذا لم يدّخر النَّبي (ﷺ) جهداً في سبيل تبليغ دعوته إلى كافة الناس، حتى ولو كانوا من ألدّ أعدائه من المشركين الذين ناصبوه العَداء، وألّبوا عليه القبائل العربية وتآمروا على قتله، انطلاقاً من هدي القرآن الكريم الذي لم يُلزم الإنسان البالغ العاقل على الدخول في الإسلام، مع القناعة واليقين أنَّ الإسلام هو الدّينُ الحقُّ المبين، وأنَّ عقيدته هي الصواب.

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [الكهف: ٢٩].

---

١ المصدر السابق نفسه: ص٢٠٠.

القسم التّاسع

الحوار غير المباشر و تبليغ الدّعوة و التّواصل مع الآخر في كُتب الرَّسول(ﷺ) إلى زعَمَاء القَبَائل ومُلوك العَالم القَديم

أولاً : كتب الرسول (ﷺ) إلى ملوك وزعماء النَّصارى.

ثانياً : كتب الرسول (ﷺ) إلى اليهود .

ثالثاً : كتب الرسول(ﷺ) إلى كسرى ملك الفرس.

رابعاً : كتب الرسول (ﷺ) إلى زعماء العرب .

الحوار غير المباشر وتبليغ الدّعوة والتواصل مع الآخر
في كُتـب الـرَّسول (ﷺ) إلى زعَمَـاء القَبَائل
ومُلـوك العَـالم القَديم

تعتبر كُتب رسول الله (ﷺ) إلى زعماء القَبائل العَربية داخل الجزيرة العربية وخارجها، وإلى ملوك العالم القَديم وقادته حينذاك، شكلاً من أشكال تبليغ الدعوة إلى الإسلام، والتواصل الفكري والحِوَار غير المباشر مع الآخر.

لقد أراد الرسول الكريم (ﷺ)، من خلال كتبه، فضلاً عن الدّعوة إلى الإسلام، تهيئة الأجواء والتمهيد لحوار مستقبلي مع هؤلاء الزعماء والقادة.

روى ابن سعد في طبقاته: أنَّه (ﷺ) لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست للهجرة، أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتباً، فقيل يا رسول الله: إنَّ الملوك لا يقرؤون كتاباً إلاَّ مختوماً. فاتخذ رسول الله (ﷺ) يومئذٍ خاتماً من فضة نقشه ثلاثة أسطر: محمَّد رسول الله، وختم به الكتب. فخرج ستة نفر في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، وكان كل رجل منهم يتكلم بلسان الذين بعثه إليهم.

فكان أول رسول بعثه رسول (ﷺ) عمرو بن أُميّة الضمري إلى النَّجاشي ملك الحبشة، فأخذ كتاب رسول الله (ﷺ) فوضعه على عينيه ونزل من سريره، فجلس على الأرض تواضعاً ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لآتيته [١].

---

١ طبقات ابن سعد: الجزء الثاني، ص٢٣ باختصار.

ونتيجة لموقف النَّجاشيّ هذا نعاه رسول الله (ﷺ) عندما مات. ((عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، قال: نعى لنا رسول الله (ﷺ) النَّجاشي صاحب الحبشة يوم الذي مات فيه، فقال: استغفروا لأخيكم)) [١].

وأرسل (ﷺ) كتاباً إلى النَّجاشي الثاني فحواه: ((هذا كتاب مُحَمَّدٍ رسول الله إلى النَّجاشي عظيم الحبشة، سَلام على من اتَّبع الهدى وآمَن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً، وأنَّ محّمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإنِّي (أنا) رسوله، فأسلم تسلم ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فإن أبيتَ فعليك إثم النَّصارى من قومك)) [٢].

وقد استخدم رسول الله (ﷺ) في كتابه هذا آيات قُرآنية كريمة تحضُّ على الدعوة إلى وحدانية الله الواحد الأحد، وتُحَاور أهلَ الكِتَاب منَ اليهود والنصارى بالتي هي أحسن وتدعوهم إلى نبذِ الشرك.

ومن زعماء القبائل العربية وملوك العالم القديم الذين حَاوَرَهم رسول الله (ﷺ) بكتبه، فضلاً عن نجاشي الحبشة الأول والثاني نذكر"نقلاً عن طبقات

---

١ صحيح البخاري: الجزء الثاني ، باب الجنائز ، ص١١١.

٢ سيرة ابن هشام: الجزء الثاني، ص٣٨٥.

ابن سعد": قيصر الروم وكسرى ملك الفرس، والمقوقس عظيم القبط، والحارث الغسّاني عامل قيصر على الشام، وفروة الجذامي عامل قيصر على عمان من أرض البلقاء ، وخوذة بن عليّ الحنفي ، وجيفر وعبد ابني الجلندي ، وهمان الأزد ، والمنُذر بن ساوي العبدي ملك البحرين ، وزعماء قبائل اليمن الحارث بن عبد كلال، ونُعمان قيْل ذي يزن ، وزرعة ذي رُعين، وهمدان، وبني معاوية من قبيلة كندة ، وجبلة بن الأيهم ملك غسَّان، وأسقف بني الحارث ابن كعب، وأساقفة نجران وكهنتهم، وربيعة بن ذي مرحب الحضرمي، وإخوته وأعمامه، وبعض زعماء أسلم من حَدَسٍ من لخم، وخالد بن ضماد الأزدي، وعمرو بن حَزم، ونُعيم بن أوس، والحصين بن أوس الأسلمي، وبني مُرَة بن عبد الله بن أبي نجيح النهانيّن، وبني الضباب من بني الحارث بن كعب، ويزيد بن الطفيل الحارثي ، وبني قنان بن ثعلبة من بني الحارث، وعبد يغوث بن وعلة الحارثي، وبني زياد بن الحارث، ويزيد بن المحُجَّل الحارثي، وقيس بن الحصين ذي الغصة، وبني قنان بن يزيد، وعاصم بن الحارث الحارثي، وبني معلوية بن جرول الطائيين، وعامر بن الأسود الطائي، وبني جُوين، وبني معن، وجُنادة الأزدي وقومه، وسعد هذيم من قضاعة ، وجذام ، وبني زرعة ، وبني الرّبعة ، وبني جُعيل، وأسلم من خزاعة، وعوسجة بن حرملة الجهني، وبني شنخ من جهينة، وبني الجرمز بن ربيعة، وعمرو بن معبد الجهني، وبلال بن الحارث المزني،وبديل وبُسر وسروات بني عمرو، والعدّاء بن خالد بن هوذة ، ومسيلمة الكذاب ، وسلمة بن مالك السلمي ، والعباس بن مرداس، و هوذة بن نُبيشة السلمي ، وراشد بن عبد السلمي ، وحرام بن بعد عوف من بني سليم ، وجميل بن رزام العدوي ، وحصين بن نضلة الأسدي ، وبني

غفار ، وبني ضمرة بن بكر ، وهلال صاحب البحرين ، واسيبخت بن عبِد الله صاحب هجر ، وضغاطر الأسقف ، وبني جنْبة وهم من يهود بمقنا ، ويُحنّة بن روبة ، وبني عريضٍ طعمةٌ ، وبني غاديّا ، وسمعان بن عمرو وبن قريط بن عبيد بن كلاب ، وبكر بن وائل ، وسعير بن عدّاء ، وعبد القيس ، وأقيال حضرموت ، ونفاثة بن فروة الدئلي ملك السماوة ، ومطرّف بن الكاهن الباهلي ، ونهشل بن مالك الوائلي من باهلة ، وثقيف ، وسعيد بن سفيان الرِّعلي ، وعتبة بن فرقد ، وسلمة بن مالك السلمي ، وبني جناب من كلب ، ومهري بن الأبيض ، وخثعم من حاضر بيشة ، وثمالة ، والحُدّان ، وبارق من الأزد ، ووائل بن حُجر ، وأهل نجران، وأكيدر، وأهل جربا وأذرح، وأهل مقناه ... إلخ [١].

ومن هذه القائمة الطويلة من زعماء القبائل العربية داخل وخارج الجزيرة العربية، وملوك وقادة العَالم القَديم الذين خَاطَبهم وَحَاوَرَهم رسول الله (ﷺ) عَبرَ كُتبه ورسائله، يظهر جليّاً حرصه (ﷺ) على الحِوَار مَعَ الآخر والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، مهما كانت النتائج التي سَيُسفر عنها هذا الحِوَار نزولاً عند قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

وللوقوف على الطَّابع الحِوَاري في كُتبِ رسول الله (ﷺ)، وجوانبه وأبعاده ودلالاته المختلفة سنوردُ نصوصاً من بعض كُتبه (ﷺ).

١طبقات ابن سعد: الجزء الثاني، ص٢٥٨-٢٩٠ باختصار.

أولاً- كُتب الرسول (ﷺ) إلى ملوك وزعماء النّصارى

في اليوم الذي أرسل فيه رسول الله (ﷺ) بكتابه إلى النّجاشي ملك الحبشة في شهر محرم سنة سبع للهجرة أرسل خمسة رجال بخمسة كتب أخرى إلى ملوك وزعماء العالم ، منهم دحية بن خليفة الكلبي الذي بعثه (ﷺ) إلى هرقل ملك الروم، فدفع دحية بكتاب رسول الله (ﷺ) إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل، فقرأه وكان فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمَّدٍ بن عبدِ الله ورسوله إلى هرقل عظيم الرّوم سلامٌ على من اتّبع الهُدى أمَّا بعد، فإني أدعوكَ بدعايةِ الإسلامِ، أسلمْ تسلمْ، يُؤتكَ الله أجرك مرتين ، فإن توليتَ فإنَّ عليكَ إثم الأريسيين [١].

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤] [٢].

وتذكر كتب السِّيرة النَّبوية المطهّرة أن هرقل عَظيم الروم تأثَّر تأثُّراً عَظيماً بِحِوَارِ رسول الله (ﷺ) العَميق والبليغ لَفظاً وَمَعنى.

---

١ الأريسيين، قال ابن حجر: جمع أريسي وهو منسوب إلى أريس، وهو الفلاح، والمقصود الأتباع أو عامة الشعب.

٢ متفق عليه عند البخاري ومسلم، مسلم: الجزء الثاني عشر، كتب النَّبي، ص١٠٧-، والحديث وفق رواية البخاري، الجزء الأول ،ص٧.

روى ابن سعد في طبقاته: ((فقال هرقل بعد أن قرأ الكتاب لجمعٍ من عظمائه وحاشيته: يا معشر الروم هل لكم في الفَلاح والرشد وأن يثبّت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم، قالت الروم، وما ذاك أيها الملك؟ قال: تتبعون هذا النَّبي العربي. قالوا فحاصوا حيصة حُمُر الوحش، وتناجزوا ورفعوا الصليب. فلما رأى هرقل ذلك منهم يئس من إسلامهم وخاف على نفسه ومُلكِه، فسكّتهم ثم قال: إنما قلتُ لكم ما قلت لأختبركم لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، فقد رأيت منكم الذي أُحب. فسجدوا له))[١].

وأرسل رسول الله (ﷺ) كتاباً إلى يُحنّة بن روبة وسروات أهل أيلة، ومما جاء في هذا الكتاب:

((.. فإني رسولُ اللهِ بالحق أُومن باللهِ وكتبه ورسله وبالمسيح بن مريم أنَّه كلمةُ الله وإنّي أُومن به أنَّهُ رسول الله وآتِ قبل أن يمَسكم الشّرّ فإني قد أوصيتُ رُسلي بكم ...)) [٢].

كما أرسل رسول الله (ﷺ) كتاباً إلى المقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القبط في المحرم سنة سبع: ((وبعث رسول الله (ﷺ)، حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، وهو أحد الستّة، إلى المقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القِبط يدعوه إلى الإسلام وكتبَ معه كتاباً، فأوصل إليه كتاب رسول الله (ﷺ)، فقرأه وقال له خيراً، وأخذ الكتاب فجعله في حقٍ من عاج وختم عليه

---

١ طبقات ابن سعد، الجزء الثاني، ص٢٥.

٢ طبقات ابن سعد، الجزء الأول، ص٢٧٨.

ودفعه إلى جاريته، وكتب إلى النَّبي (ﷺ): قد علمت أن نبيًّاً قد بقي وكنت أظنّ أنّه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القِبط عظيم، وقد أهديت لك كسوة وبغلة تركبها، ولم يزد على هذا ولم يُسْلم)) [١].

((وكتب رسول الله (ﷺ) إلى ضغاطر الأسقف: سلامٌ على من آمنَ. أمّا على أثرِ ذلك فإنَّ عيسى بن مريم روحُ اللهِ وكلمتُه ألقاها إلى مريم الزّكية وإني أومن بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيمَ وإسماعيل وإسحَاق ويعقوبَ والأسباط وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيّيونَ من ربّهم لا نفرّقُ بينَ أحدٍ منهم ونحن له مسلمون، والسلام على من اتّبع الهُدى. قال: وبعث به مع دحية بن خليفة الكلبي)) [٢].

هَكَذَا حَاوَرَ رسول الله (ﷺ) ملوك وزعماء وأساقفة النَّصارى في كتبه بمودةٍ وتقدير، مستشهداً بما ورد في القرآن الكريم من قصص الأنبياء، وضربَ أروع الأمثلة في الحِوَارِ والمناقشة والإقناع سُبلاً راقيةً وساميةً إلى الدعوة إلى الإسلام وَالحِوَار مَعَ الآخر.

---

١ طبقات ابن سعد، الجزء الأول، ص٢٧٨.

٢ المصدر السابق نفسه ، ص٢٣٦.

ثانياً- كُتُب الرَّسول (ﷺ) إلى اليهود

أرسل رسول الله (ﷺ) عدة كتب إلى اليهود يدعوهم فيها بالحِوَارِ والحكمة والموعظة الحسنة والإقناع إلى الإسلام، ومن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر، هذا الكتاب الَّذي أرسله إلى جماعةٍ من اليهود:

((من محمَّدٍ رسول الله أخي موسى وصاحبه، بعثه الله بما بعثه به، إنّي أنشدكم بالله وما أنزل على موسى يوم طور سيناء، وفلق البحر وأنجاكم وأهلك عدوّكم، وأطعمكم المنّ والسّلوى، وظلَّل عليكم الغمام، هل تجدون في كتابكم أنّي رسول الله إليكم وإلى كافةً؟ فإن كان كذلك، فاتقوا الله وأسْلِمُوا، وإن لم يكن عندكم فلا تباعة عليكم)) [١].

وعَرضَ رسول الله (ﷺ) الأمن والطّمأنينة على فئة أُخرى من اليهود عبر منحهم كافة حقوق أهل الذمَّة، وهؤلاء هم يهود بني جَنْبَة: ((كتب رسول الله (ﷺ) إلى بني جَنْبَة وهم يهود بمقنا وإلى أهل مقنا، ومقنا قريب من أيلة: أما بعد فقد نزل عليّ أيّتُكُمْ راجعين إلى قريتكم فإذا جاءكم كتابي هذا فإنّكم آمنون لكم ذمةُ اللهِ وذمة رسوله وأن رسول الله غافرٌ لكم سيئاتكم وكلّ ذنوبكم وإنّ لكم ذمة الله وذمة رسوله لا ظُلم عليكم ولا عدى)) [٢].

---

١ طبقات ابن سعد، الجزء الأول، ص١٧٦.

٢ طبقات ابن سعد، الجزء الأول، ص٢٧٧.

ثالثاً- كتاب الرَّسول (ﷺ) إلى كسرى ملك الفرس

بعث رسول الله (ﷺ) كتاباً إلى كسرى ملك الفرس فمزَّقه، فلما بلغَ ذلك رسول الله (ﷺ)، قال: مزّق الله مُلْكه.

رابعاً- كُتُب الرَّسول (ﷺ) إلى زعماء العَرب

بعثَ رسول الله (ﷺ) برسُلٍ وكُتبٍ كثيرة إلى زعماء القبائل العَربية وأُمراء العرب، وقد ذكرنا آنفاً معظمهم، حيث حَاوَرَهُم فيها بالحكمة والموعظة الحسنة، فأسْلَمَ منهم الكثير ، وعاندَ البعض منهم، ومن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر:

((بعثَ رسول الله (ﷺ)، مُنْصرفه من الجِعِرّانة العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي وهو بالبحرين يدعوه إلى الإسلام وكَتَبَ إليه كتاباً، فكتبَ إلى رسول الله (ﷺ) بإسلامه وتصديقه، وإني قد قرأت كتابك على أهل هجر، فمنهم من أحبّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأَرضي مجوس ويهود فأحْدِثْ إليَّ في ذلك أَمرك، فكتب إليه رسول الله (ﷺ): إنَّكَ مهما تُصْلِح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديةٍّ أو مجوسيّةٍ فعليه الجزيةُ، وكتب رسول الله (ﷺ) إلى مجوس هجر يعرض عليهم الإسلام، فإن أبوا أُخذت منهم الجزية، وبأن لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل

ذبائحهم، وكان رسول الله (ﷺ) بعث أبا هريرة مع العلاء بن الحضرمي وأوصاه به خيراً)) [١].

((وبعث رسول الله (ﷺ)، سليط بن عمرو العامري، إلى هوذة بن عليّ الحنفي يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتاباً، فقدم عليه وأنزله وحباه، وقرأ كتاب النَّبي (ﷺ) وردّ ردّاً دون ردّ، وكتب إلى النّبي (ﷺ): ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني ، فاجعل لي بعض الأمر أتّبعِك، وأجاز سليط بن عمرو بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر، فقدم بذلك على النَّبي (ﷺ) وأخبره عنه بما قال، وقرأ كتابه وقال: لو سألني سيابةً من الأرضِ ما فعلتُ، بادَ وبادَ ما في يديه! فلما انصرف من عام الفتح جاءه جبريل فأخبره أنه قد مَات)) [٢].

((وكتب رسول الله (ﷺ) إلى مسيلمة الكذّاب، لعنه الله، يدعوه إلى الإسلام، وبعثَ به مع عمرو بن أمية الضمري، فكتبَ إليه مسيلمة جواب كتابه،ويذكر فيه أنَّه نبيّ مثله ، ويسأله أن يقاسمه الأَرض، ويذكر أن قريشاً قوماً لا يعدلون، فكتب إليه رسول الله (ﷺ) ، وقال: العَنوه لعنهُ الله! وكتبَ إليه: بلغني كتابك الكذبُ والافتراءُ على اللهِ وإنَّ الأَرض لله يُورثُها

---

١ طبقات ابن سعد: الجزء الأول، ص٢٦٣.

٢ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٦٢.

من يشاءُ من عباده والعاقبةُ للمتقَين والسَّلام عَلَى من اتّبعَ الهدى. وبعثَ به مع السائب بن العوَّام أخي الزبير بن العوَّام)) [١].

وَهَكَذَا كَانت كُتُب النَّبي (ﷺ) إلى ملوكِ العالم القَديم وزعماء العَرب نوعاً من الحِوَار لدعوة الآخرين من المُشركين والنَّصارى والمجوس واليهود وسائر العرب إلى الإسلام، دونَ أن يُجبر أحداً على اعتناق الإسلام.

كَمَا سَاهم سفراء النَّبي (ﷺ) الذين حملوا كتبه إلى الآخرين بإجراء نقاشات ومُحَاوَرَات هَامة معهم في ضوءِ كُتبه وتعليماته (ﷺ).

---

١ المصدر السابق نفسه، ص ٢٧٣.

القسم العاشر

الحِوَار في خُطَب النَّبي (ﷺ)

أولاً : خطبة الرسول (ﷺ) في بداية الدعوة .

ثانياً : خطبة الرسول (ﷺ) بعد بناء المسجد النّبوي .

ثالثاً : من خطب الرسول (ﷺ) التوجيهية والتعليمية .

رابعاً : خطبة الرسول (ﷺ) في اليوم الثاني من الفتح .

خامساً : خطبة حجة الوداع .

الحِوَار في خُطَب النَّبي (ﷺ)

خَطَبَ رسول الله (ﷺ) في المسلمين خاصة والنَّاس عامة في مناسبات كثيرة مذ جاءه أمر ربّه أن يدعو الناس إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، وكان من أهم سمات هذه الخُطب، طابعها الحواري والإقناعي والتوجيهي والتعليمي. وشكّلت خُطبه (ﷺ) جانباً هاماً من جوانب حواراته مع صحابته الكرام (رضي الله عنهم) وسائر المسلمين وعموم النَّاس .

أولاً- خطبة الرسول (ﷺ) في بداية الدعوة

عندما أمر الله (عز وجل) النَّبي (ﷺ) أن يصدع بما جاءه منه، وأن يدعو الناس إليه ويأمرهم به ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر: ٩٤].

بدأ النَّبي (ﷺ) أولى محاوراته الإقناعية العلنية مع المشركين عندما: صعد على الصَّفا. فقال: يا معشر قريش. فقالت قريش محمَّد على الصَّفا يهتف. فأقبلوا واجتمعوا. فقالوا مالك يا محمَّد ؟ قال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونني ؟ قالوا: نعم. أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذباً قط. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. يا بني عبد المطلب. با بني عبد مناف. يا بني زهرة – حتى عدّد الأفخاذ من قريش- إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلاّ أن تقولوا لا إله إلاّ الله. فقال أبو لهب: ((تَبّاً لك سائر اليوم. ألهذا جمعتنا)) ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾ [المسد: ١-٥] [١].

ثانياً- خطبة الرسول (ﷺ) بعد بناء المسجد النّبوي

خَطَبَ رسول الله (ﷺ) بعد بناء مسجد المدينة فقال: ((إنَّ الحمد لله أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئآت أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زيّنه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبّوا ما أحبَّ الله، أحبّوا الله من كل قلوبكم، ولا تملّوا كلام الله وذكرَه، ولا تَقْسُ عنه قلوبكم، فإنه من كلّ ما يخلق الله ويصطفى، قد سمّاه الله خِيرته من الأعمال، ومُصطفاه من العباد، والصالح من الحديث، ومن كلّ ما أوتي الناس الحلالُ والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتَّقوه حَّق تُقاته، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابّوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن يُنكث عهده، والسَّلام عليكم.)) [٢].

---

١ صحيح البخاري : ح(٢٧٥٣، ٣٥٢٥ ، ٣٥٢٧)، وجامع الترمذي: تفسير سورة الشّعراء ٣١٦/٥ -٣١٧.

٢ سيرة ابن هشام : الجزء الثاني، ص١٤٦-١٤٧.

ثالثاً- من خُطب الرسول (ﷺ) التوجيهية والتعليمية

خَطبَ رسول الله (ﷺ) مُعَلِّماً أصحابه الأمانة والصِّدق، روى البخاري في صحيحه:((عن أبي حميدٍ السَّاعديّ أنَّ النَّبيّ (ﷺ) استعملَ ابنَ الأُتبيَّةِ على صَدَقات بني سُليمٍ، فلمَّا جاء إلى رسول الله (ﷺ) وحاسبهُ قال هذا الَّذي لكم، وهذه هدَّيةٌ أُهديت لي، فقال رسول الله (ﷺ) فهلاّ جلستَ في بيت أبيكَ وبيتِ أُمِّكَ حتَّى تأتيك هدَّيتُكَ إن كنتَ صَادقاً، ثمَّ قامَ رسولُ الله (ﷺ) فخَطبَ النَّاس وحمدَ الله وأثنى عليه ثم قالَ: أمَّا بعدُ فإني أستعملُ رجالاً منكم على أُمورٍ ممَّا ولاَّني الله فيأتي أحدكم فيقول هذا لكم وهذه هديةٌ أُهديت لي، فهلاَّ جلسَ في بيتِ أبيه وبيتِ أُمِّه حتَّى تأتيه هديَّتُهُ إن كان صادقاً، فو الله لا يأخذُ أحدكم منها شيئاً.

قال هشامٌ بغيرِ حقِّهِ إلاّ جاء الله يحمله يوم القيامة ألا فلأ عرفنَ ما جاءَ الله رجلٌ ببعيرٍ لهُ رغاءُ، أو ببقرةٍ لها خوارٌ، أو شاةٍ تيعرُ، ثمَّ رفع يديه حتَّى رأيتُ بياضَ إبطيهِ، ألا هلْ بلغت)) [١].

وروى ابن ماجه في سننه: ((عن عبد الله بن مسعود، أنَّ رسول الله(عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام) قال: إنما هما اثنتان الكلامُ والهدى. فأحسنُ الكلامِ كلامُ الله. وأحسنُ الهدى هدى محمَّدٍ. ألا وإيَّاكم ومحدثاتِ الأُمور. فإنَّ شرَّ الأُمور محدثاتُها. وكُلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ . ألا لا يطُولنَّ عليكم الأحد، فتقسو قلوبُكم. أَلا إن ما هو آتٍ قريبٌ. وإنّما البعيد

---

١ صحيح البخاري: الجزء التاسع ، كتاب الأحكام.

ما ليس بآتٍ. ألا إنما الشَّقيُّ من شقي في بطن أُمِّه. والسَّعيدُ من وُعِظَ بغيره. ألا إنَّ قتال المؤمن كفرٌ وسبابُه فسوقٌ. ولا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجر أخاهُ فوق ثلاثٍ. ألا وإيّاكم والكذب. فإنَّ الكذبَ لا يَصلُحُ بالجدِّ ولا بالهزل. ولا يَعِد الرجلُ صبيَّهُ، ثم لا يفي له، فإنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النّار، وإنَّ الصِّدق يهدي إلى البرّ. وإنَّ البِرَّ يهدي إلى الجنّة، وإنّهُ يُقال للصادق: صدقَ وبرَّ. ويقالُ للكاذب: كذب وفجَر. ألا وإنَّ العَبدَ يَكذبُ حتّى يُكتب عند الله كذّاباً)) [١].

رابعاً – خطبة الرسول (ﷺ) في اليوم الثاني من الفتح

كان فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان من هجرة النَّبي (ﷺ) إلى المدينة. ولما كان اليوم الثاني من الفتح قام رسول الله (ﷺ) في الناس خطيباً، فحمدَ الله، وأثنى عليه، ومجَّدَه بما هو أهله، ثم قال:((أيُّها الناس، إنَّ الله حرم مكة يوم خَلق السَّماوات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرىءٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً، أو يُعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله (ﷺ) فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما حلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب)).

---

١ سنن ابن ماجه: الجزء الأول ، رقم الحديث ٤٦، ص١٨.

وفي روايةٍ: ((لا يُعضَّد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا تُلتقط ساقطته إلاَّ من عرَّفها، ولا يُختلى خلاه))، فقال العباس: يا رسول الله، إلاّ ذْخِر، فإنه لَقِينِهم وبيوتهم، فقال: ((إلاّ ذخر)).

وكانت خزاعة قتلت يومئذ رجلاً من بني ليث بقتيل لهم في الجاهلية، فقال رسول الله (ﷺ) بهذا الصّدد ((يا معشر خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثر القتل إن نَفَع ، ولقد قتلتم قتيلاً لأدينَّهُ، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النَّظرين، إن شاؤوا فدم قاتله، وإن شاؤوا فعَقْلُه)) وفي رواية: فقام رجل من أهل اليمن يقال له: أبو شاه، فقال : اكتب لي يا رسول الله، فقال رسول الله (ﷺ): ((اكتبوا لأبي شاه)) [١].

---

[١] انظر لهذه الروايات: صحيح البخاري: الجزء الأول، ص ٢٢، ٢١٦، ٢٤٧، ٣٢٨، ٣٢٩، الجزء الثاني ٦١٥، ٦١٧، وصحيح مسلم، الجزء الأول ص ٤٣٧، ٤٣٩، وابن هشام، الجزء الثاني ص٤١٥، ٤١٦، وأبو داود، الجزء الأول ص٢٧.

خامساً- خطبة حجة الوداع

تمَّت أعمال الدعوة الإسلامية، وإبلاغ رسالة دين التوحيد. وشاءت مشيئة الله العَليّ القَدير أَن يرى رسوله (ﷺ) ثمار دعوته التي كابد في سبيلها ألواناً من المتاعب بضعاً وعشرين عاماً، ((فيجتمع في أطراف مكة بأفراد قبائل العرب، وممثليها، فيأخذوا عنه شرائع الدين وأحكامه، ويأخذ منهم الشَّهادة على أنَّه أدّى الأمانة، وبلَّغَ الرسالة، ونَصح الأمة)).

دخل رسول الله (ﷺ) مكة بعد أن صلّى الفجر واغتسل من صباح يوم الأحد لأربع ليال خلون من ذي الحجة سنة ١٠ هـ.

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم التَّروية توجه إلى منى، فصلّى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر خمس صلوات، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس ،فأجاز حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنَمِرة، فَنَزل بها، حتى إذا زالت الشمس أمر بالقَصْوَاء فرحلت له، فأتى بطن الوادي، وقد اجتمع حوله مائة ألف وأربعة وعشرون أو أربعة وأربعون ألفاً من الناس، فقام فيهم خطيباً، وألقى خطبة حجة الوداع)) [١].

قالَ (ﷺ) بعد أن حَمَدَ الله وأثنى عليه: ((أيُّها الناس: اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً. أيُّها الناس، إنَّ

---

١ المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم ، بحث في السِّيرة النَّبوية، ص٣٩١-٣٩٢.

دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا وإنَّ كلّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإنَّ أولَ دمٍ أضعُ من دمائنا دمُ ابن ربيعةَ بنِ الحارث. وربا الجاهلية موضوعٌ، وأوّلُ ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كلُّه.

أيُّها الناس، إن الشيطان قد يئس من أن يُعبدَ بأرضكم هذه أبداً، ولكنَّه إنْ يُطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم. أيُّها الناس، إنَّ النسيءَ زيادةٌ في الكفر يضل به الذين كفروا يُحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليُواطؤا عدَّة ما حرَم الله ويحرِّموا ما أحلَّ الله، وإنَّ الزمان قد استدار كهيأته يوم خلقَ الله السَّماوات والأرض. السنةُ اثنا عشر شهراً، منها أربعةٌ حرمٌ،ثلاثةٌ متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرَّم ورجبُ مُضرَ الذي بين جمادى وشعبان)).

((اتقوا الله في النساء، فإنكم إنما أخذتموهَّن بأمانِ الله واستحللتُم فروجهنَّ بكلمة الله. إنَّ لكم عليهنَّ حقاً ولهنّ عليكم حقاً: لكم عليهن أن لا يوطِئْنَ فُرشكم أحداً تكرهونه[١] فإن فعلن ذلك فاضربوهنَّ ضرباً غير مبرِّح، ولهنَّ عليكم رزقهن وكسوتهنَّ بالمعروف. فاعقلوا أيُّها الناسَ قولي فإني قد بلغت، وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله وسنّة رسوله.

---

١ المقصود بذلك أن لا يأذنَّ لأحدٍ ممن يكرهون دخوله عليهن، وليس وطء الفراش كناية عن الزنا كما قد يُظن.

يا أيُّها الناس، اسمعوا وأطيعوا وإن أُمِّر عليكم عبدٌ حبشي مجدَّع ما أقام فيكم كتاب الله تعالى [١].

أيُّها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمُنَّ أنَّ كل مسلمٍ أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحلّ لامرئ من أخيه إلاَّ ما أعطاه عن طيبِ نفس منه، فلا تظلمنَّ أنفسكم، اللهم هل بلّغتُ ؟.

وستلقونَ ربّكم فلا ترجعوا بعدي ضُلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ، فلعلَّ بعض من يبلُغهُ أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، وأنتم تُسألون عني ، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحت. فقال بأصبعه السبابة، يرفعها إلى السَّماء، وينكتُها إلى الناس: اللهم اشهد (ثلاث مرات))) [٢].

هَكَذَا خَاطَبَ رسول (ﷺ) آلاف المسلمين مبيّناً لهم مبادئ الإسلام الحنيف في خطبة شاملة وموعظة مختصرة. ((ولله ما أروعها من كلمات، تلك التي ألقاها في سفوح عرفات، راح يخاطب فيها الأجيال والتاريخ بعد أن أدّى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في سبيل الدعوة إلى ربّه ثلاثة وعشرين عاماً لا يكلّ ولا يملّ. ولله ما أروعها من ساعة، تلك التي اجتمع حول رسول الله (ﷺ) فيها الآلاف المؤلَّفة، اجتمعوا حوله خاشعين متضرعين، وطالما

---

١ هاتان الفقرتان وردتا في رواية ابن سعد في الطبقات الكبرى.

٢ صحيح مسلم: ٣٧/٤. كما أضفنا فقرات قليلة وردت في صحيح البخاري وسيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد.

تربّصوا به قبل ذلك متآمرين ومحاربين .. آلاف مؤلّفة يملؤون ما يمتد به النظر من كل الجهات)) [١].

وقد تميّزت خُطَبه (ﷺ) بطابعها الحِوَاري المُميّز، ومواضيعها المتنوعة التي لامَسَتْ جَوانب أساسيّة هامة من حياة المسلمين الدينية والدنيويّة، وحياة الناس على اختلاف أديانهم ولغاتهم كونها كانت تبدأ بعبارة: "يا أيُّها الناس " في غالب الأحيان.

[١] البوطي، د. محمد سعيد رمضان: فقه السِّيرة، ط٣، دار الفكر، دمشق ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ص٤٨٧.

القسم الحادي عشر

فَضَائل الأخلاق ومَكَارم الآدَاب في حوَارَات النَّبي (ﷺ)

أولاً : التواضع .

ثانياً : الآداب السامية .

ثالثاً : العدل .

فَضَائل الأخلاق ومَكَارم الآدَاب
في حِوَارَات النَّبي (ﷺ)

حرصَ الإسلام على أن يكون فعل الخير والتزام فضائل الأخلاق ومكارم الآداب، وترك الشَّر ونبذ الرذائل، خالصاً لوجه الله.((وهذا واضح في أن الإسلام يُلزم بالخير لذات الخير، ويأمر بالفضائل لأنها فضائل. وأن المؤمن الصّادق يفعل الخير حبّاً في الخير.

وليس هذا فحسب، بل إن توجيه الإنسان إلى فعل الخير والتزام الفضائل لذاتيهما يقوم على الإلزام، لا على التخيير، فهو يلزمك بالصِّدق لأن الصِّدق يجب أن يُلزم، ويلزمك باجتناب الكذب، لأن الكذب يجب أن يُجتنب،كما يلزمك بالفضائل كلها، لأن الفضائل يجب التزامها، والرذائل يجب اجتنابها، ومن ابتغى غير ذلك فقد ظلم نفسه.

ولقد ظلت الإنسانية قروناً طويلة، ولم تهتد إلى مفهوم الخير والشّر، ثم خطا الإسلام بها خطوة واسعة، فهو في الوقت الذي يأمر فيه بفعل الخير وترك الشَّر، يحدد مفهوم الخير والشَّر تحديداً واضح المعالم لا يضل بعده الإنسان ولا يشقى)) [١].

---

١ فياض، د.محمود: الإسلام ومكارم الأخلاق، ص٢٧.

لقد عصمَ الله (ﷻ) رسوله (ﷺ) عن جميع المظاهر السَّلبية وعن كل ما لا يتفق مع أخلاقيات وآداب وشروط الدعوة التي أعدّه الله لها وزيّنه بكافة مكارم الأخلاق الفاضلة الرفيعة وقيم الآداب النبيلة.

على هذا النحو السَّامي نشأ رسول الله (ﷺ) في كنف العناية الإلهية الخاصة، وكان من خير ما امتدح الله به رسوله الكريم قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم: ٤].

أخلاقيات وآداب حوار النَّبي (ﷺ)

((كان النَّبي (ﷺ) متواضعاً وفيّاً حييًّاً شجاعاً كريماً مُهاباً أميناً، صادقاً في القولِ والعمل زاهداً في الدنيا مع إقبالها عليه، لا يتطلع إليها عند إدبارها، وكان مخلصاً لله في كل ما يصدر عنه، فصيح اللسان، ثابت الجِنان، قويّ العَقل، حَسن الفهم، رحيماً للكبير والصغير، ليّن الجانب، رقيق القلب والمشاعر، جريئاً في قولِ الحق، بعيداً عن الغِلظة والجفاء والقسوة)) [١].

((وكان (ﷺ) يمتاز بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وكان من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلامة طبع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخُص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويحاورها بلغتها، اجتمعت

---

[١] أباظة، نزار: محمَّد رسول الله (ﷺ)، ص ٨٨.

له قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصَاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي حدده الوحي.

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك مجاوروه وأعداؤه، وكان يسمّى قبل نبوته الأمين، ويُتحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام.

وكان أشد الناس تواضعاً، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك، وكان يَعود المساكين، ويُجالس الفقراء، ويُجيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحدهم.

وكان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظَمَهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، وأحسن الناس عشرة وأدباً،وأبسط الناس خُلقاً....)) [١].

وقال هند بن أبي هالة في وصف رسول الله (ﷺ): ((كان رسول الله (ﷺ) متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام، ويختتمه بأشداقه، لا بأطراف فمه، ويتكلم بجوامع الكلم، فضلاً، لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي ولا بالمهين، يعظِّم النعمة وإن دقت، لايذم شيئاً، ولم يكن يذم ذواقاً ما يطعم، ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرّض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، سماحة، وإذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه.

---

١ المباركفوري، صفى الرحمن: الرحيق المختوم، بحث في السِّيرة النَّبويّة،ص٤١٥-٤١٧ باختصار.

وكان لا يجلس ولا يقوم إلاّ على ذكر، ولا يوطن الأماكن، لا يميّز لنفسه مكاناً، إذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ....)) ([1]).

ومن هذه الشَمَائل الخُلُقية الحميدة والقيم الإسلامية الرفيعة جاءت حوارات النَّبي (ﷺ) مكتنزة بفضائل الأخلاق السَّامية ومعطّرة بمكارم الآداب عَمَلاً بأمر القرآن الكريم وتأدّباً بآدابه العظيمة.

فانظر إليه (ﷺ) يوم فتح مكة وهو في قمة قوته وسلطانه، وفرسان قريش في أقصى حالات هزيمتهم وهوانهم، وقد لقي وأصحابه منهم مختلف صنوف الظلم والعدوان والأذى، أكثر من عشرين عاماً.

فَمَا عاقبهم بعقاب، ولا جازاهم بما جرموا بحقه وحقِّ أصحابه ولا بأقل مما فعلوا، بل عفا عنهم عفواً شاملاً، هو الأول من نوعه في التاريخ الإنساني.

قال (ﷺ): ((يا معشر قريش، ماترون أني فاعل بكم ؟))، قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

قال : ((فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء)) [2].

---

١ اليحصبي البستي، القاضي عيَّاض بن موسى بن عيَّاض: الشفا،ج١/ ص١٢١-١٢٥ باختصار.

٢ شَيخ الإسلام، مُحَمَّد بن عَبد الوَهاب: مختصر سيرة الرسول (ﷺ).

لقد عَفَا رسول الله (ﷺ) أيضاً عن كافة الأشخاص من المشركين الذين حاولوا قتله ولو تمكنوا منه ما تركوه حيَّاً، ومنهم (شيبة بن عثمان الحجبي) و (عمير بن وهب) و (فضالة بن عمير بن الملوح الليثي)، وسواه.

فضربَ بذلك أَروع المثل في الصفح الجميل والخُلق الحَسن والعَفو النبيل عند المقدرة. وسنورد في هذا المقام بعضاً من تفاصيل هذا الصَّفح الجميل والنَّادر.

لقد همَّ فضالة بن عمير بن الملوح الليثي بقتل رسول الله (ﷺ) وهو يطوف بالكعبة بعد فتح مكة، فكشف الله غدره لرسوله (ﷺ) الذي بادره بكل هدوء وسكينة وطمأنينة :

((أفضالة؟)) قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: ((ماذا تُحَدّث به نفسك ؟)) قال : لاشيء. كنتُ أذكر الله، فَضَحَك (ﷺ). ثم قال: ((استغفر الله)) ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، وكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله أحبُّ إليَّ منه [١].

هَكَذَا اختار رسول الله (ﷺ) أن يُحَاورَ ((فضالة)) بالتي هي أحسن من الموعظة والحكمة واللين، ومن موقع القوة ليردعه عن نوازعه الشّريرة وفكره السَّلبي ويحبب إليه التسامح والإيمان والتقوى، وهذه من أروع وأندر صور الدعوة إلى الله، والحِوَار مع عدو شديد الكراهية، والذي سيصبح بفضل هذا التسامح العظيم والحِوَار الفريد، رجلاً مسلماً كسائر المسلمين من حيث الحقوق والواجبات.

---

١ سِيرة ابن هشام: الجزء الرابع، ص٥٩.

وقد حَدَثَ لرسول الله (ﷺ) موقف مشابه مع ((شيبة بن عثمان الحجبي)) الذي قال:((لما كان يوم الفتح قلت: أسير مع قريش إلى هوازن، لعليّ أصيب من محمَّد غرَّة.

فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول: لو لم يبقَ من العرب والعجم أحد إلاَّ تبعته، ما اتبعته أبداً، فلما اختلط الناس، اقتحم رسول الله (ﷺ) عن بغلته وأصلتُّ السيفَ، فدنوت أريد ما أريد، ورفعت سيفي حتى كدت أسَوِّره، فرفع لي شواظ من نار كالبرق، كاد أن يمحشني فوضعت يدي على بصري خوفاً عليه، فالتفت إليَّ رسول الله (ﷺ) فناداني ((يا شيبُ ادنُ)) فدنوتُ، فمسح صدري، ثم قال: ((اللهم أعِذه من الشّيطان)).

فو الله لهو كان ساعتئذ أحبَّ إليَّ من سمعي وبصري ونفسي، ثم قال: ((ادن فقاتل))، فتقدمت أمامه أضرب بسيفي الله يعلم أني أحب أن أقيه بنفسي)) [١].

وتعتبر الرحمة من أَشرف الخصال وأكرم الأخلاق التي حَبَاها الله (ﷻ) لرسوله (ﷺ)، لأن الله لا يحب شيئاً مثلما يحب الرحمة، ولا يكره شيئاً مثلما يكره القسوة والغرور.

---

١ شَيخ الإسلام، مُحَمَّد بن عَبد الوَهاب: مُخْتصر سيرة الرسول (ﷺ) ص٢١٠-٢١١، وسيرة ابن هشام، الجزء الرابع،ص٨٧.

وتدلل مئات الأحاديث الشّريفة على أخلاقيات الرحمة والتواضع، وكلنا يعرف قصة الرجل الذي تبوَّل في مسجد رسول الله (ﷺ) فلم يزجره أو يوبخه أو يؤذي مشاعره بكلمةٍ واحدة.

وتنخّع رجل آخر في قبلة المسجد فاكتفى(ﷺ) بنصحه وإرشاده وتعليمه وتوجيهه، وفعل الأمر عينه مع الرجل الذي تخطَّى الناس في المسجد بينما رسول الله (ﷺ) يخطب يوم الجمعة.

روى ابن ماجه في سننه:

((عن جابر بن عبد الله، أنّ رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة، ورسول الله (ﷺ) يخطبُ.

فجعل يتخطّى النَّاس، فقال رسول الله (ﷺ): اجلسْ فقد آذيتَ وآنيت)) [١].

وقد ضَرَبَ رسول الله (ﷺ) أروعَ المثل في ردّ الديون لأصحابها، وحَاوَرَ أصحابه في ذلك ليعلمهم الوفاء بحقوق النّاس وردّها إليهم.

روى البخاري في صحيحه: ((عن أبي هريرَة (رضي الله عنه) أنَّ رجلاً أتى النَّبيَّ (ﷺ) يتقاضاه فأغلظَ، فهمَّ به أصحابُهُ، فقال رسول الله (ﷺ) دعوه فإنَّ لصاحبِ الحقِّ مقالاً، ثم قال: أعطوهُ سِنّاً مثلَ سِنِّهِ، قالوا يا رسول الله إلاَّ أمثلَ من سنِّهِ، فقالَ أعطوهُ فإنَّ منْ خيركم أحسنكم قضاءً)) [٢].

---

١ سنن ابن ماجه: الجزء الأول، حديث رقم ١١١٥، ص٣٥٤.

٢ صحيح البخاري: الجزء الثالث، كتاب الوكالة،ص١٣٠.

هَكَذَا لم يكن رسول الله (ﷺ) فَظّاً، ولا فَاحشاً، ولا قَاسياً، ولا مخيفاً، بل كان لطيفاً، رقيقاً، مُيسراً، سهل الخُلق، يعفو ويصفح عن أعدائه الذين آذوه، ويردُّ الديون إلى أصحابها ردّاً جميلاً.

كما كان (ﷺ) يُحَاور أصحابهُ معلِّماً إياهم الأخلاق الفاضلة وآداب العبادات بكل رقة ولطف وأناة وسعة صدر.

فهذا معاوية بن الحكم السُّلميّ يقول لرجل عطس في الصّلاة يرحمك الله، الأمر الذي أزعج الصَّحابة (رضي الله عنهم) وجعلهم يضربون بأيديهم على أَفخاذهم فلما انتهت الصَّلاة قام رسول الله (ﷺ) يحاوره رقة ولطف: ((إن هذه الصّلاة لا يصلحُ فيها شيءٌ من كلام النَّاس إنّما هو التّسبيحُ والتَّكبير وقراءةُ القرآن)) [١].

ويقول السُّلمي بعد ذلك: ((بأبي هو وأُمي ما رأيتُ معلِّمَاً قبله ولا بعده أحسنَ تعليماً منه فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني)) [٢].

ونظراً لغِنى حوارات النَّبي (ﷺ) وأَحاديثه الشريفة بالكثير من المعاني الأخلاقية السَّامية، سنقف عند أبرز هذه المَعَاني على سبيل المثال لا الحصر:

---

١ صحيح مسلم: الجزء الخامس، كتاب الصلاة،ص٢٠.

٢ المصدر السابق نفسه: الصفحة نفسها.

أولاً- التواضع

أحدثَ رسول الله (ﷺ) انقلاباً كبيراً في المنظومة الاجتماعية التقليدية السائدة، حيث غيّر بمواقفه وحواراته وأحاديثه الشَّريفة نموذجَ الرجل الجاهلي الفَظّ، حيث كان أكثر الأعراب جفاةً غِلاظاً، فإذا قَدِموا على رسول الله (ﷺ) ورأوه يقبّل بعض أولاده، أو أولاد صحابته عجبوا، حتى كان بعضهم يسأله سؤال تعجب: ((أتقبلّون صبيانكم ؟)) فيقول النَّبي (ﷺ): ((نعم))،فيقولون: ((ولكننا والله لا نُقَبِّل)) ، فيقول (ﷺ): ((أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة)) [١].

لقد عاملَ رسول الله (ﷺ) جميع الناس بالحب والتواضع والرحمة، ومن هؤلاء جيرانه أهل الصفة، أولئك المسلمين الفقراء المساكين الذين لم يجدوا لهم مأوى، فكانوا يبيتون في مكان مظلل في المسجد.

ومن أروع صور تواضعه ورحمته ومعاملته (ﷺ) لجيرانه هؤلاء ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: ((والله الذي لا إله إلاَّ هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرَّ بي النَّبي (ﷺ) فتبسَّم حين رآني، وعرفَ ما في وجهي، وما في نفسي، ثم قال: أباهرّ! قلت: لبيك يارسول الله، قال: الِْحَقْ، ومضى، فتبعته، فدخل، فاستأذن، فأُذن لي، فدخلت، فوجد لبناً في قدح، فقال: من أين هذا اللبن ؟ قالوا: أهداه لك فلان.

---

١ صحيح البخاري: ٥٦٥٢-٥٩٩٨، صحيح مسلم: ٢٣١٧-٢٣١٩.

قال: أباهر! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الِحَقْ إلى أهل الصفة فادعهم لي. قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لايأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، وكان إذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنتُ أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاؤوا وأمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ؟! وَلم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بدّ، فأتيتهم، فدعوتهم،فأقبلوا، واستأذنوا، فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال يا أبا هرّ! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: خذ فأعطهم قال: فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يُروى، ثم يرد عليَّ القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح .. حتى انتهيت إلى النَّبي (ﷺ)، وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح، فوضعه على يده، فنظر إليَّ فتبسم، فقال: أباهرّ! قلت : لبيك يا رسول الله، قال : بقيت أنا وأنت،قلت: صدقت يا رسول الله، قال: اقعد فاشرب، فقعدت فشربت، فقال: اشرب، فشربت، فمازال يقول: اشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ماأجد له مسلكاً، قال: فأرني، فأعطيته القدح فحمدَ الله تعالى، وسمَّى، وشرب الفضلة)) [١].

---

١ صحيح البخاري: ٦٤٥٢.

ثانياً- الآدَاب السَّامية

عَلَّمَ رسول الله (ﷺ) المسلمين آداباً فاضلة كثيرة، منها آداب اللباقة وحسن التصرف والطهارة والحديث والاستئذان.

جاء رجل يستأذن على رسول الله (ﷺ) في الدخول، فقال: أألج؟ فقال النَّبي لخادمه:

((اخرج إلى هذا فعلّمه الاستئذان، فقل له: السَّلام عليكم، أأدخل)) [١].

لقد تأدَّبَ الصَّحابة بآدَاب الاستئذان، حتى روى أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) قوله (ﷺ):

((الاستئذان ثلاث، فإن أُذن لك، وإلاّ فارجع)) [٢].

وكان رسول الله (ﷺ) يُعلِّمُ الصّحَابة وأهل بيته (رضي الله عنهم) آداب تناول الطعام: ((إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي في أوله، فليقل باسم الله أوله وآخره)) [٣].

كما كان (ﷺ) حَريصَاً أشدَّ الحرص على تعليم أصحابه آداب الطريق: عن أبي سعيد الخُدريّ (رضي الله عنه) أنَّ النَّبي (ﷺ) قال: ((إيَّاكم والجلوسَ بالطُّرقاتِ، فقالوا يا رسول الله مالنا من مجالسنا بُدٌّ نتحدثُ فيها فقالَ فإذا أبيتم إلاَّ المجلسَ فأعطوا الطَّريق حقّهُ، قالوا: وما حقُّ الطريقِ يا رسول اللهِ ؟ قال:

---

١ أبو داوود: ٥١٧٧ .

٢ صحيح البخاري: ٢٠٦٢ ، ٢١٥٤.

٣ أبو داود:٧٧١٥.

غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السَّلام، والأمر بالمعروف، والنَّهيُ عن المنكر)) [١].

وكثيراً ما أوصى رسول الله(ﷺ) صَحَابته الكرام (رضي الله عنهم) بالصِّدق وحذَّرهم من الكذب: ((عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أنَّه سمع رسول الله (ﷺ) حين توفي قال: قام رسول الله (ﷺ) عام الأول مقامي هذا ثم بكى ثم قال: عليكم بالصِّدق فإنَّه مع البِرِ وهما في الجنّة، وإيّاكم والكذب فإنَّه مع الفجور وهما في النَّار، وسلوا الله المعافاة فإنّه لم يؤت رجلٌ بعد اليقين شيئاً خيراً من المعافاة، ثم قال: لا تَقاطعوا ولا تَدابروا ولا تَباغضوا ولا تَحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً)) [٢].

((وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أنَّ رجلاً جاء إلى النَّبي(ﷺ) فقال: يا رسول الله ما عمل الجنة. قال: الصِّدق وإذا صدق العبد برَّ وإذا برَّ آمن وإذا آمن دخل الجنة. فقال: يا رسول الله ما عمل النَّار. قال: الكذب، إذا كذب فجر وإذا فجر كفر وإذا كفر دخل النّار)) [٣].

وكذلك أوصى (ﷺ) بإكرام الضَّيف وحفظ حقوق الجار وقول كلام الخير أو الصَّمت : ((عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر

---

١ صحيح البخاري: الجزء الثامن ،كتاب الاستئذان ، ص٦٣.

٢ مسند الإمام أحمد بن حنبل: الجزء الأول،ص٥.

٣ المصدر السابق: الجزء الثاني ،ص١٧٦.

فليحفظ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت))[١].

واشترط النَّبي(ﷺ) المحبّة بين المؤمنين شرطاً أساسياً للإيمان، قال (ﷺ): ((لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه)) [٢].

ثالثاً- العَدل:

حرصَ النَّبي (ﷺ) أشد الحرص على تحقيق العدل بين الناس، حيث كان يطبّقه في بيوته، وبين أزواجه، وأولاده، وأصحابه، وجيرانه، وكافة الناس.

ولا غرابة أن يؤكد (ﷺ) على العدل في حِوَارَاته المختلفة مع أهله وأصحابه والناس كافة، ويأمرهم بالتزامه لأنَّه من أسس رسالة الإسلام الحنيف.

((عن عليّ (رضي الله عنه) قال: بعثني رسول الله (ﷺ) إلى اليمن قال: فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث لا أبصر القضاء، قال: فوضع يده على صدري وقال: اللهم ثبّت لسانه وأهد قلبه. يا عليّ إذا جلسَ إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنك

---

١ مسند الإمام أحمد بن حنبل: الجزء الثاني، ص١٧٤

٢ أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه).

إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء، قال: فما اختلف عليَّ قضاء بعد أو ما أشكل عليَّ قضاء بعد)) [١].

و ((عن النعمان بن بشير، قال: انطلق بي أبي يحملني إلى رسول الله (ﷺ)، فقال يا رسول الله: اشهد أنّي قد نحلتُ النُّعمان كذا وكذا من مالي، فقال: أكُلَّ بنيك قد نحلتَ مثل ما نحلتَ النُّعمان، قال: لا ، قال: فأَشْهِد على هذا غيري، ثمَّ قال: أيسُرُّكَ أن يكونوا إليك في البرِّ سواءً. قال: بلى. قال: فلا إذاً))[٢].

وكان رسول الله (ﷺ) يوصي مبعوثيه إلى أهل الكتاب من النصارى واليهود بتطبيق مبدأ العدل فيما بينهم: ((عن ابن عباسٍ، أنَّ النَّبي (ﷺ) بعث معاذاً إلى اليمن، فقال: إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأنّي رسول اللهِ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلواتٍ في كلِ يومٍ وليلةٍ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإيّاك وكرائم أموالهم، واتَّقِ دعوةَ المظلومِ، فإنها ليس بينها وبين الله حجابٌ)) [٣].

١مسند الإمام أحمد بن حنبل : الجزء الأول،ص ١١١.

٢صحيح مسلم: الجزء الحادي عشر،كتاب الهبات،ص٦٨.

٣ سنن ابن ماجه: الجزء الأول، الحديث رقم ١٧٨٣، ص٥٦٨.

وقد انطوت حِوَارَات رسول الله (ﷺ) على معاني أخلاقية كثيرة كالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والإرشاد والتوجيه، والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة واحترام الآخر... الخ.

وكانت كافة أحاديثه الشَّريفة (ﷺ) وحِوَاراته رسائل أخلاقية هامة إلى المسلمين والبشرية جمعاء.

القسم الثاني عشر

المَضَامين الإنسانيّة وَالتربويّة والتعليميّة

في حوَارات النَّبي (ﷺ)

أولاً : المضامين الإنسانية .

ثانياً : المضامين التربوية .

ثالثاً : المضامين التعليمية.

المضَامين الإنسانيّة والتربويّة والتعليميّة
في حِوَارَات النَّبي (ﷺ)

عَلَّمَ النَّبي (ﷺ)- بما آتاه الله من الهدى والفرقان- الناس المبادئ الإنسانية الحقّة والقيم التربوية والتعليمية الفاضلة التي أرشدت الناس إلى التفكير السّديد والرأي الصائب والقول الحسن والحوار الرصين.

وسنكرِّس هذا القسم لتقديم جوانب هامة من المَضَامين الإنسانية والتربوية والتعليمية في حواراته وأحاديثه الشَّريفة (ﷺ)، عِلماً بأنَّ هذه المضامين بحاجةٍ إلى كتابٍ كامل.

أولاً – المَضَامين الإنسانية

الإنسان هو أحد أفراد الجنس البشري، أو هو كلُّ آدمي، مهما اختلفت الأشكال والألوان والصفات.

وقد اختار الله تعالى الإنسان من سائر خلقه، وميّزه على غيره، وكلّفه إعمارَ الأرض بعد أن شرَّفه بالنَّفخِ فيه من روحه.

كما كرَّم الله تعالى الإنسان على سائر المخلوقات الأخرى وجعله هَدَفَاً في ابتعاث الرسل، وإنزال الكتب.

وقد انطوت حوَارَات النَّبي (ﷺ) مع أصحابه الكرام، والناس بمختلف أشكالهم وألوانهم وأديانهم على مَضامين إنسانية عظيمة، كون الرسالة التي نزلت عليه موجّهة إلى البشر كافة.

وقد ظهر البُعد الإنساني كطابع هام في الكثير من أحاديث النَّبي (ﷺ) والعديد من حواراته ومناقشاته الخاصّة والعامة مع أزواجه وأقاربه وأصحابه وسائر الناس.

وفي الحديث النَّبوي الحواري: ((ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء)) [١].

ومن الوصايا الإنسانية العظيمة لرسول الله (ﷺ) لمن يُرسله للدفاع عن المسلمين والجهاد: ((انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى بركة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضعوا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا، إنَّ الله يحبُّ المحسنين)) [٢].

---

[١] هذا جزء من حديث رواه الترمذي عن ابن عمرو مرفوعاً، وأوله ((الرّاحمون يرحمهم الرحمن)). وروى البخاري ومسلم والترمذي عن جرير قال: قال رسول الله(ﷺ): ((من لم يرحم الناس لا يرحمه الله)) رواه أبو داود: (٦٢٥/٢) تحفة الأحوذي: (١٩,٥١/٦).

[٢] رواه أبو داود عن أنس (رضي الله عنه) مرفوعاً (الفتح الكبير ٢٨٢/١).

وحَاربَ رسول الله العصبية القبلية الجاهلية المَقِيتة، فعن جبير بنُ مطعم أن رسول الله (ﷺ) قال: ((ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية)) [١].

كما حَاربَ الرسول (ﷺ) العصبية العنصرية القومية، فعن أبي هريرة(رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): ((إنَّ الله قد أذهب عنكم عبيَّة الجاهلية _ الكِبر، والنخوة بها -وفخرها بالآباء، مؤمن تقيّ، وفاجر شقيّ، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن رجالٌ فَخْرَهم بأقوام، إنما هو فحمٌ من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن)) [٢].

وحَاوَرَ النَّبي (ﷺ) أصحابه الكرام حول كثير من الجوانب الإنسانية العظيمة كاحترام الأرقاء، وحسن معاملتهم، ومنع ضربهم.

روى البخاري أن رسول الله (ﷺ) قال: ((إخوانُكم خَوَلكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفُوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)) [٣].

---

١ رواه أبو داود: (٦٢٥/٢).

٢ رواه أبو داود: (٦٢٤/٢)، والترمذي وحَسّنَه (٤٥٥/١٠).

٣ صحيح البخاري: كتاب الإيمان، (٣٣/١).

ثانياً- المَضَامين التربوية

كان الإنسان محور التربية القُرآنية، حيث اتجه الإسلام أصلاً إلى تربية الإنسان تربية شاملة متكاملة في مختلف النواحي الجسدية والروحية والعقلية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية.

لقد رَبّى النَّبي (ﷺ) النفوس وغَذّى الأرواح وهَذَّب السَّلوك وبَنى العقول النَّيِّرَة.

((وكان من نتيجة التربية الإسلامية لبناء الإنسان الكامل أولاً، أنها كانت الباعث الرئيسي، والسبب في اعتناق ملايين الناس الإسلام، والإقبال عليه، وقبوله عقيدة وشريعة، ليتفيؤوا ظلاله، وينعموا بخيره، لأنه التقى مع الفطرة السليمة، وحقَّق لهم ما يصبون إليه من معاني الإنسانية الصادقة، والواقعية، وأنه يؤمِّنُ السعادة والرفاهية، التي يتطلع إليها الإنسان في الدنيا والآخرة)) [١].

لقد ركَّزَ النَّبي (ﷺ) في حواراته وأحاديثه مع أصحابه الكرام على تربية الإنسان بعامة، والطفل بخاصة، حيث يحتاج إلى الرعاية والمحبة، والاهتمام، والحنان، والعدل في المعاملة.

روى الشّعبي أن رسول الله (ﷺ) قال: ((اعدلوا بين أولادكم في العطايا، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البرِّ)) [٢].

---

١ السيّد، د.محمود: معجزة الإسلام التربوية،ص ٤٠ -٤١.

٢ صحيح البخاري: ٤-١٩١٩.

وروى النعمان بن بشير (ﷺ) أن أباه أعطاه عطية، ولم يعطِ إخوته، وأراد أن يُشْهِد على تصرُّفه رسول الله (ﷺ)، فسأله (عليه الصلاة والسلام): ((هل أعطيت كلَّ أولادك مثل هذا ؟)) قال: لا، فقال (عليه الصلاة والسلام) : ((فاتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم)) وفي رواية قال: ((لا تشهدني على جَوْر، وإنَّ لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم))[١].

ولا شك أنَّ هذا هو المبدأ التربوي السليم الذي يترك أثراً حسناً على الأطفال، لأن تفضيل أحد الأطفال على أخوته يعدُّ من أساليب التربية القديمة الخاطئة التي ألغتها التربية الإسلامية وأحلت مكانها أساليب تربوية رشيدة.

وعلَّم النَّبي (ﷺ) أصحَابَه الكرام (ﷺ) أن يحُسِنوا تربية أولادهم بالمناقشة المقنعة والحوار الرشيد.

عن ابن عباس (ﷺ) قال: قالوا: يا رسول الله! قد عَلِمْنَا ما حقُّ الوالدِ، فما حقُّ الولد؟ قال : ((أن يُحْسِنَ اسمَه، ويحسنَ أدبه)) [٢].

وشدّد رسول الله (ﷺ) في حواراته وأحاديثه الشَّريفة على برّ الوالدين والإحسان إليهما كمبادئ تربوية رَاشدة في الحياة الدنيا ووسيلة هامة لابتغاء مرضاة الله تعالى.

---

[١] رواه البخاري: ٩١٣/٢، صحيح مسلم:٦٥/١١، مسند الإمام أحمد، ٢٦٩/٤، ٢٧١.

[٢] رواه البيهقي عن ابن عباس: فيض القدير: ٣-٣٩٤.

سُئل رسول الله (ﷺ) عن أحق الناس بالصُّحبة والبرّ من أهله، فأجاب رسول الله (ﷺ):

((أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك أدناك)) [١].

وعلَّمَ النَّبي (ﷺ) أصحَابه الكرام (رضي الله عنهم) الكثير من المبادئ التربوية الحميدة التي تركت أثراً إيجابيا كبيراً انعكس على حياة الفرد والأسرة والمجتمع.

قال رسول الله (ﷺ): ((إياكم والجلوس في الطرقات)) قالوا: يا رسول الله هي مجالسنا ،مالنا منها بدّ، قال: ((فإن كل ذلك، فأعطوا الطّريق حقَّه))، قالوا: وما حقها ؟ يا رسول الله! قال: ((غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) [٢].

وأكَّدَ رسول الله (ﷺ) على أهمية تربية الأولاد وتأديبهم وتهذيبهم، قال (ﷺ): ((لئن يؤدِّب أحدكم ولده خير من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين)) [٣].

وبَيَّنَ رسول الله(ﷺ) لأصحابه(رضي الله عنهم) والمسلمين كافة أن المسؤولية التربوية ملقاة على عاتق الجميع، الفرد والأسرة والمجتمع.

---

١ صحيح مسلم: (١٠٢/١٦).

٢ صحيح البخاري: (٨٧٠/٢)، صحيح مسلم: (١٠٢/١٤).

٣ رواه الترمذي والطبراني عن جابر بن سمرة (تحفة الأحوذي ٨٢/٦، الفتح الكبير ٥/٣).

قال (ﷺ): ((كلكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته، والرجلُ راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها)) [١].

ثم تأتي مسؤولية تربية الأولاد ورعايتهم، وأوصى رسول الله (ﷺ) باتخاذ الصَّديق الصالح وحذّرَ من رفيق السّوء.

قال (ﷺ) ((مثلُ الجليس الصَّالح، والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير)) [٢].

---

١ صحيح البخاري: ٣٠٤/٠١) ،صحيح مسلم (٢١٣/١٢.

٢ رواه البخاري عن أبي موسى مرفوعاً، صحيح البخاري : (٧٤١/٢).

ثالثاً- المَضَامين التعليمية

أول كلمة وآية نزلت من الله العَليّ القَدير على رسول الله (ﷺ) كانت في طلب القراءة والعلم والحثّ على المعرفة.

قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ [العلق: ١-٥] .

وتوالت الآيات الكريمة التي تحثُّ على العلم، والفكر، والمعرفة، وتبيّن فضل العلماء.

((وحثَّ رسول الله (ﷺ) على طلب العلم، ولم يجعله مجرَّد حقٍّ لصاحبه، بل هو واجبٌ وفرض، وليس واجباً دنيوياً، وقضائيا في الدنيا، يُسأل عنه أمام الدولة والسلطة، بل هو فرضٌ ديني يسأل عنه في الدنيا والآخرة)) [١].

قال رسول الله (ﷺ) ((طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم)) [٢].

ثم بَيَّن (ﷺ) فضل العلم والعلماء، فيما رواه عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: مرَّ رسول الله (ﷺ) بمجلسين في مسجده، فقال: ((كلاهما خيرٌ وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء، فيدعون الله، ويرغبون إليه، فإن شاء

---

[١] الزحيلي، د. محمّد: حقوق الإنسان في الإسلام، ص٢٦٨.

[٢] رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك (رضي الله عنه): (٨١/١).

أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم، ويُعلِّمون الجاهل، فهم أفضلُ، وإنما بعثت معلِّماً، ثم جلس بينهم)) [١].

وأوصى رسول الله (ﷺ) بتأديب الأولاد ذكوراً وإناثاً وتعليمهم. فقال (ﷺ): ((مُروا أولادكم بالصَّلاة، وهم أبناء سبع)) [٢].

وقال (ﷺ): ((عَلِّمُوا أبناءكم السِّباحة والرمي، والمرأة المغزل)) [٣].

وهكذا كان رسول الله (ﷺ) - بما آتاه الله من الهُدى والفُرقان - مدرسة إنسانية وتربوية عظيمة، ستظلُ الأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء تنهل من معينها الرقراق كل المبادئ التربوية والقيم الفاضلة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

١ سنن ابن ماجه: (١-٨٣)، سنن الدارمي: (١ -٨١).

٢ هذا جزء من حديث رواه أبو داود والترمذي والإمام أحمد والحاكم عن ابن عمر مرفوعاً (الفتح الكبير: ١٣٥/٣)، مسند الإمام أحمد: (٢ /١٨٧).

٣ رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر مرفوعاً (الفتح الكبير ٢٣١/٢).

القسم الثالث عشر

توظيف القَصَص القُرآني في حِوَار النَّبي (ﷺ)

توظيف القَصَص القُرآني في حِوَار النَّبي (ﷺ)

((قَصَّ الله، سبحانه وتعالى، في القرآن الكريم على رسوله المصطفى(ﷺ) كثيراً من القَصص المتنوعة لأهداف متباينة.

قَصَّ أخبار الرسل، عليهم الصَّلاة والسلام، لتثبيت قلب النَّبي (ﷺ) على ما يلاقيه من أذى المشركين ومعاندتهم ([1])، فقال لنبيه(ﷺ):

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود: ١٢٠] .

وقَصَّ بعض أخبار الأمم الماضية مع أنبيائها، ليأخذ الناس من ذلك العِظة والعبرة، فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١] .

وكان القَصص القُرآني كلّه قصص حق، كما قال ربّنا، ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ ﴾ [آل عمران: ٦٢] .

---

١ الشهابي، محمد نديم: حكايات وعِبر من هَدي سيِّد البشر (ﷺ)، ص١١.

ثم إنَّ الله، تباركَ وتعالى، أمرَ رسوله المصطفى(ﷺ) أن يقصَّ القَصص على أصحابه الكرام ليتفكروا فيها، وليكونَ لهم نصيبهم من الاعتبار، فقال جَلَّ شأنه: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ ﴾ [الأعراف: ١٧٦] .

وامتثل النَّبي (ﷺ) أمر ربّه، تبارك وتعالى، فقصَّ على أصحابه الكرام بعض القَصَص الواقعية التي ليس للخيال فيها أدنى نصيب لأنه (ﷺ)، لا ينطق عن الهوى،كما أخبر عنه ربّه، ﷻ، في قوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ [النجم: ٣-٤] .

فكان القَصص النَّبوي الكريم من الوحي الإلهي، وهو الوحي غير المتلو، وذلك لأنّ الوحي قسمان:

وحي متلو وهو القرآن الكريم، ووحي غير متلو وهو السُّنَّة المطهّرة.

وقد ضَمَّن المصطفى(ﷺ) القَصَص في حواراته مع أصحابه الكرام (رضي الله عنهم) فالحوار المُؤيَّد بقصته هو أكثر إقناعاً ورسوخاً في الذاكرة، فضلاً عمَّا ينطوي عليه من عِظةٍ وعبرة وحكمة.

وسنقدم للقارئ الكريم أنموذجاً من القَصص التي ضَمنَّها رسول الله (ﷺ) في حواراته مع أصحابه الكرام(رضي الله عنهم).

روى مسلم في صحيحه: ((عن النَّواس بنِ سمعانَ(رضي الله عنه)قال: ذكَرَ رسول الله (ﷺ)، الدّجّالَ ذاتَ غداةٍ، فخفَّض فيه (حَقَّرَ أمْرَهُ)، ورَفَّعَ(أعْلَى منْ شأنهِ) حَتَّى ظَنَنَّاه في طائفةِ النَّخلِ.

فَلَّما رُحْنَا (رجعنا آخرَ النَّهارِ) إليه، عرف ذلكَ فينا.

فقالَ: ((وما شأنُكُمْ؟)).

قُلْنَا: يارسُول الله! ذكرتَ الدَّجَّالَ غداةً، فخفَّضْتَ فيه وَرَفَّعْتَ حتَّى ظنَنَّاهُ في طائفةِ النَّخْلِ.

فقالَ: ((غيرُ الدَّجَّالِ أخوفني عليكُمْ. إن يخرجْ وأنا فيكم فأنا حَجيجهُ(خصمهُ الَّذي يغلبُهُ بحُجَّتِهِ) دونكم، وإنْ يخرجْ ولستُ فيكمْ فامرُؤٌ حجيجُ نفسهِ، والله خليفتي على كُلِّ مسلمٍ.

إنَّهُ شابٌّ قططٌ (شديدُ جعودةِ الشَّعْرِ)،عينُهُ عنبةٌ طافئةٌ (ذهبَ نورها) كأنِّي أُشبِّهُهُ بعبدِ العُزَّى بنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أدركَهُ منكمْ فليقرأ عليه فواتحَ سورةِ الكهفِ.

إنَّهُ خارجٌ من خلَّةً (موضعَ حَزْنٍ وصُخُورٍ) بينَ الشَّامِ والعِراقِ، فعاثَ (أسرعَ في الإفسادِ) يميناً، وعاث شمالاً، يا عبادَ الله!.فاثْبُتُوا)).

قُلنْا: يا رسول الله!. وما لَبْثه في الأرضِ؟.

قالَ : ((أربعونَ يوماً. يوم كسنةٍ ، ويومٌ كشهرٍ ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائرُ أيَّامِهِ كأيّامكم)).

قلنا: يا رسول الله !. فذلكَ اليومَ الذي كسنةٍ، أتكفينا فيه صلاةُ يومٍ ؟.

قالَ: ((لا. اقدُروا لهُ قدره)).

قلنا: يا رسول الله!. وما إسراعُه في الأرض ؟.

قالَ: ((كالغيثِ استدبرته الرِّيح، فيأتي على القومِ، فيدعوهُمْ، فيؤمنونَ به، ويستجيبون له، فيأمرُ السَّماءَ، فتمطرُ، والأرضَ، فتنبتُ فتروحُ عليهم سارحَتُهُمْ (مواشيهم ودوابُّهُم) أطولَ ما كانت ذُراً (أسْنمةً) وأسبغَه ضُروعاً (أثداؤها مملوءة لبناً)، وأمدّه خواصرَ.

ثم يأتي القومَ، فيدعوهُمْ، فيردُّونَ عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحونَ ممحلينَ (قد أصابهم الجدبُ والقحطُ) ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم، ويمرُّ بالخربةِ، فيقولُ بها: أخرجي كنوزكِ، فتتبعهُ كُنوزها كيعاسيب (ملكات) النَّحلِ ثم يدعُو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربُهُ بالسَّيفِ، فيقطعُه جزلتين (قطعتين) رميةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يدعوهُ، فيُقبلُ، ويتهلَّلُ وجهُهُ، يضْحَكُ.

فبينما هو كذلك، إذْ بعثَ الله المسيحَ ابنَ مريمَ، فينزلُ عند المنارةِ البيضاءِ شرقيَّ دمشق، بين مهرودتينِ (ثوبين مصبوغين بالزَّعفرانِ)، واضعاً كفَّيه على أجنحةِ ملكين، إذا طأطأ رأسَهُ قطرَ، وإذا رفعهُ تحَدَّرَ منهُ جُمانٌ كاللُّؤلؤ، فلا يحلُّ لكافرٍ يجدُ ريحَ نفسه إلاَّ مات، ونفسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرفُهُ، فيطلبهُ، حتَى يدركهُ ببابِ لُدٍّ، فيقتلُهُ.

ثمَّ يأتي عيسى ابنَ مريم قومٌ قد عصمهم (حفظهُمُ) الله منهُ، فيمسحُ على وجوههمْ، ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنَّة، فبينما هو كذلكَ، إذْ أوحى الله إلى عيسى: إنِّي قد أخرجتُ عباداً لي لايدانِ (لا قدرة ولا طاقةَ) لأحدٍ بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى السُّطورِ (ضمَّهم إليه، واجعله لهم حفظاً وصيانةً).

ويبعث الله يأجوجَ ومأجوج، وهم من كلِّ حدبٍ ينسلونَ، فيمرُّ أوائلهم على بحيرةِ طَبريَّة، فيشربون ما فيها، ويمرُّ آخرهم فيقولونَ: لقد كان بهذه مرَّةً ماءٌ.

ويُحصَرُ نبيّ الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأْس الثّورِ لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغبُ (يدعو ويتضَّرعُ) نبيّ الله عيسى وأصحابه، فيرسلُ الله عليهم النَّغَف (دودٌ يكونُ في أُنوفِ الإبلِ والغنم) في رقابهم، فيصبحونَ فَرْس (قتلى) كموتِ نفسٍ واحدةٍ.

ثمَّ يهبطُ نبيُّ الله عيسى وأصحابُهُ إلى الأرضِ،فلا يجدونَ في الأرضِ موضعَ شبرٍ إلاَّ ملأهُ زهمُهمْ (رائحتهم الكريهةُ) ونَتْنُهُمْ .

فيرغبُ نبيّ الله عيسى وأصحابهُ إلى الله، فيرسلُ الله طيراً كأعناقِ البُختِ (جمالٌ طويلةٌ الأعناقِ) فَتَحْمِلُهُم، فتطرحهم حيث شاء الله.

ثم يرسلُ الله مطراً لا يَكُنُّ (لا يمنعُ من نزولِ المطرِ) منهُ بيت قَدَرٍ ولا وَبَرٍ، فيغسلُ الأرضَ حتّى يتركَهَا كالزَّلفةِ (المرآةِ).

ثمَّ يُقالُ للأرضِ: أنبتي ثمرتكِ، ورُدِّي بركتكِ، فيومئذٍ تأكل العصابةُ من الرُّمَّانةِ، ويستظلَّونَ بقحفها (بقشرها)، ويُبَارِكُ في الرِّسْلِ (اللَّبن) حتى إنّ اللِّقْحةَ (النَّاقةَ الحلوبَ) من الإبلِ لتكفي الفئامَ (الجماعة) منَ الناسِ، واللِّقحةَ (البقرةَ الحلوبَ) من البقر لتكفي القبيلةَ من النّاسِ، واللِّقحة (الشَّاةَ الحلوبَ) من الغنمِ لتكفي الفَخِذ (الجماعة من الأقارب) من النَّاس، فبنما همْ كذلكَ، إذْ بعثَ الله ريحاً طيبةً، فتأخُذُهُمْ تحت آباطهمْ، فتقبضُ روحَ كلِّ مؤمن وكلِّ مسلمٍ، ويبقى شرارُ النّاس، يتهارجُون (يجامعُ رجالُهُمْ نساءُهمْ علانيةً كما يجامعُ الحميرُ بعضُهَا بعضاً) فيها تهارجَ الحُمُرِ، فعليهمْ تقوم السَّاعةُ)) [1].

هَكذا أسهَبَ رسول الله (ﷺ) في حِوَارَاته مع أصحَابه الكرام (رضي الله عنهم) وسائر المسلمين مُسْتَخْدِمَاً مَا جَاء في القصص القُرآني من هَدي وعِبر وحكم.

١ صحيح مسلم: ج١٧، باب ذكر الدجال، ص٦٣-٧٠.

القسم الرابع عشر

آدَاب حِوَار النَّبي (ﷺ) في عيون مُحَاوريه

آدَاب حِوَار النَّبي (ﷺ) في عيون مُحَاوريه

اتصَفَ مَجلس النَّبي (ﷺ) وحواره مع النّاس بصفات فاضلة كثيرة قلما تجتمع في مجلسٍ واحد وفي مُحَاورٍ واحد شكلاً ومضموناً.

لقد كانت صفات مجلسه (ﷺ) تتحلّى وتتزّين بآداب الأخلاق القُرآنية الرفيعة، لأنه كان "قرآناً يمشي على قدمين"،كما وصفته السَّيدة عائشة (رضي الله عنها)، وبذلك أثَّر (ﷺ) تأثيراً عظيماً على مُحاوريه من الصَّحابة والمسلمين خصوصاً، وأهل الكتاب والمشركين والعَجم عموماً.

وسنحاول تتبع أثر مُحَاوَرَاته وآدَاب مجلسه (ﷺ) على الآخرين من خلال انطباعات وآراء بعض مُحَاوريه من المُشركين والقرابة والصَّحابة، فحتى أكثر المشركين عداوة للرسول (ﷺ) لم يستطيعوا إخفاء إعجابهم الشَّديد بحواراته (ﷺ) وأحاديثه، وما تنطوي عليه من دعوة عظيمة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، وترك الوثنية والشِرْك، ومن هؤلاء النضر بن الحارث الذي نَصَحَ المُشْرِكين من قريش بعد فشل مفاوضاتهم مع النَّبي (ﷺ) قائلاً: (يَا مَعشر قريش، والله لقد نَزلَ بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد عرفتم محمَّد فيكم غُلاماً حَدَثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حَديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السَّحرة وَنفْثهم وعَقْدَهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتَخَالُجَهم وسمعنا سَجَعَهم،

وقلتم : شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشِّعر وسمعنا أصنافه كلها هَزَجه ورَجَزَه، وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، فما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم)) [١].

وهذا كاهن مُشْرِك يدعى ضماداً يحاور رسول الله (ﷺ) ثم يدخل الإسلام على يديه ويقول في حقه: ((عن ابنِ عبّاسٍ (رضي الله عنهما) أن ضماداً قدم مكّة وكان من أزدِ شنوءة وكانَ يرقي من هذه الرّيح، فسمع سُفهاء من أهلِ مكّة يقولون إنَّ محمّداً مجنونٌ فقال لو أني رأيتُ هذا الرَّجلَ لَعلَّ الله يشفيه على يديَّ، قال: فلقيهُ، فقال: يا محمّد إنّي أرقي من هذه الرّيحِ، وإنَّ الله يشفي على يديَّ من شاءَ فهلْ لك، فقال رسول اللهِ (ﷺ):

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُهُ من يَهدِهِ الله فلاَ مُضلَّ له، ومن يُضْلل فلا هَادي لهُ، وأشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله وحدهُ لا شريكَ لهُ وأنَّ محمَّداً عبدهُ ورسولهُ، أما بعدُ قالَ، فقالَ: أعِدْ عَليَّ كلماتك فأعادهنَّ عليه رسولُ اللهِ (ﷺ) ثلاثَ مراتٍ قالَ ،فقال: لقد سمعتُ قول الكهنةِ وقولَ السَّحَرةِ وقولَ الشُّعراء فما سمعتُ مثلَ كلماتك هؤلاء ولقدْ بلغنَ ناعوسَ البحرِ، قالَ، فقالَ: هاتِ يدكَ أُبايعكَ على الإسلام، قال: فبايعَهُ فقال رسول اللهِ (ﷺ) وعلى قومك، قالَ: وعلى قومي، قال: فبعثَ رسول الله (ﷺ) سريةً فَمرُّوا

---

[١] سيرة ابن هشام: الجزء الأول، ص٢٩٩.

بقومه، فقالَ صَاحب السَّريّةِ للجيش: هل أصبتُمْ من هؤلاء شيئاً، فقالَ رجلٌ من القوم: أصبت منهم مْطهَرةً، فقال ردُّها، فإن هؤلاءِ قومُ ضِمَادٍ))[١].

وقد امتدحَ كثير من المشركين رسول الله(ﷺ) وحواراته وأحاديثه الشَّريفة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، الطفيل بن عمر الدوسي وعتبة بن ربيعة وسواهما، ولكنهما كالنضر بن الحارث أصرّا على الشرك والكفر.

وإذا كان زعماء الشرْك والوثنية وأعداء الإسلام قد امتدحوا رسول الله (ﷺ)، بما هو فيه وما هو أهل له، فمن الطّبيعي أن يمتدح صحابته وقرابته (رضي الله عنهم) آداب حواره وصفات مجلسه وطيب حديثه (ﷺ).

روى ابن سعد في طبقاته الكبرى وصفَ عليّ بن أبي طالب(رضي الله عنه) لآداب وسجايا رسول الله (ﷺ): ((كان رسول الله (ﷺ) ،دائم البِشْر، سهل الخُلق، ليّن الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ ولا صخَّاب ولا فحّاش ولا عيَّاب، يتغافل عما لايشتهي، ولا يَدْنَسُ منه ولا يجنب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وممّا لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث،كان لا يذم أحداً ولا يعيّره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلاَّ فيما رجا ثوابه، إذا تكلّم أطرقَ جلساءه،كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلّموا ولا يتنازعون عنده، من تكلّم أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده، حديث أوّليّتِهم يضحك مما يضحكون منه، ويتعجّب مما يتعجّبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم

---

١ صحيح مسلم: الجزء السادس، كتاب الصلاة، ص١٥٧-١٥٨.

طالب الحاجة فأردفوه، ولايقبل الثناء إلاّ من مكافئ، ولا يقطع عن أحد حتى يحوز فيقطعه بنهي أو قيام [١].

وقال أنس بن مالك (ﷺ): ((خَدمت النَّبي (ﷺ) عشر سنين في السَّفر والحَضر فما قال لي: أف قط، وما قال لشيء صنعته:لم صنعت هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لمَ لم تصنعه هكذا ؟ ولا لشيء صنعته أسأت صنعه أو لبئس ما صنعت، ولا عابَ عليَّ شيئاً قط، ولا أمرني بأمرٍ فتوانيت عنه فلامني، ولا لامني أحد من أهله إلاَّ قال: دعوه، فلو قدر أن يكون كان)) [٢].

ووصفَ عليّ بن أبي طالب (ﷺ) جوانب هامة من آداب حِوَار رسول الله (ﷺ) واستماعه وإنصاته، وتفكره فقال: ((كان سكوت رسول الله(ﷺ) على أربع: على الحِلم، والحَذَر، والتقرير،والتفكّر.فأما تقريره ففي تسوية النظر والاستماع من الناس، وأما تذكّره أو تفكّره ففيما يبقى ويفنى، وجمع الحِلم والصَّبر، وكان لا يُغضبه شيء ولا يستفزه، وجُمع له الحذر في أربع: أِخذِه بالحسنى ليُقتدى به، وتركه القبيح ليتناهى عنه، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمّتَه، والقيام فيما جَمعَ لهم الدنيا والآخرة)) [٣].

كما وَصَفَ عليّ بن أبي طالب (ﷺ) مَجلسَ رسول الله (ﷺ) بقوله: ((كان رسول الله (ﷺ)، لا يجلسُ ولا يقوم إلاَّ على ذكر، لا يوطنُ الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلسَ حيث انتهى به المجلس يأمر بذلك،

---

١ طبقات ابن سعد: الجزء الأول، ص٤٢٤-٤٢٥.

٢ صحيح البخاري: ٣٥٦١، صحيح مسلم: ٢٣٣٠

٣ طبقات ابن سعد : الجزء الأول ص ٤٢٥.

يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسُه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصف، ومن سأله حاجة لم يردّه إلاّ بها أو بميسور من القول، مجلسه مَجلس حِلم وحَياءٍ و صبر وأمانة لا تُرفع فيه الأصوات ولا تُؤبّن فيه الحُرم ولا تُنثى فلتاته متعادلين يتفاضلون فيه بالتَّقوى، متواضعين يوقّرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير، ويُؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون أو يحوطون الغريب)) [١].

وقد أحسنَ الصَّحَابي خارجة بن زيد (ﷺ) وصفَ حِوَار وَمَجلس رسول الله (ﷺ) عندما قال: ((كان النَّبي (ﷺ) أوقر الناس في مجلسه، لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه، وكان كثير السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يعرض عمن تكلم بغير جميل،كان ضحكه تبسماً، وكلامه تبسماً، وكلامه فضلاً لا فضول ولا تقصير، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداء به)) [٢].

وهذه الخِلال التي أوردناها هي غَيض من فَيضِ آدابِ حِوَارِه وخَصَائص مَجْلسه وعَظيم صِفَاته وجَليل أخلاقه (عليه أفضل الصّلاة والسلام).

١ المرجع السابق نفسه، ص٤٢٤.

٢ اليحصبي البستي، القاضي عيّاض بن موسى بن عيّاض: الشفا،ج١،ص١٠٧.

القسم الخامس عشر

فِي رِحَاب النَّبِي مُحَمَّد (ﷺ): حِوَارَات وَمَوَاقف عَظِيمَة

في رحَـاب النَّبي مُحَمَّد (ﷺ)

حـِوَارَات وَمَـوَاقف عَظِيمَة

حفلت حوَارَات النَّبي (ﷺ) مع النَّاس كافة على اختلاف ألوانهم وأديانهم بالكثير من المواقف الإنسانية العظيمة التي نقدّم بعضها هنا على سبيل المثال لا الحصر.

*** ((إن لم يكن بكَ عليَّ غَضبٌ فَلا أبالي ....))**

قَصَدَ رسول الله (ﷺ) الطائف لدعوة الناس إلى الإسلام في شوال سنة عشر من النّبوة، وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً، قطعها ماشياً على قدميه جيئة وذهوباً، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مرَّ على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام،لم تجب إليه واحدة منها.

ومَكَثَ النَّبي (ﷺ) بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدعُ أحداً من أشرافهم إلاَّ جاءه وكلَّمَه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفاؤهم، وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له سِمَاطَين (أي صفين) وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورَجموا عَراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء.

وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، ولم يزل به السُّفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائطٍ لعتبة وشيبة ابني ربيعة على بعد ثلاثة أميال من الطائف.

ورغم كل هذا الضَّرب المبرح والأذى العظيم والطّرد الوحشي، دعا (ﷺ) ربَّه بالدعاء المشهور الذي يدلُ على عظيمِ حزنه مِمَّا لاقاه من العنف والشِّدة، وأسفاً على أنَّه لم يؤمن به أحد، قال: ((اللَّهم إليكَ أشكو ضَعْف قُوتَّي، وقلةَ حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنتَ ربي، إلى من تَكِلني؟ إلى بعيدٍ يَتَجَهَّمُني؟ أم إلى عدو ملّكّته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنورِ وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصَلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليَّ سَخَطُك، لكَ العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلاَّ بك)) [١].

لقد ثبتَ رسول الله (ﷺ) على أداءِ رسالته على أكمل وجه في أصعب الظروف وأحلك الليالي والمِحَن، ومن مواقفه العظيمة ومآثره الجليلة قوله لعمه أبي طالب: ((يا عمّ، والله لو وضعوا الشَّمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه)) [٢].

*** ((أرجو أن يُخْرِجَ الله (ﷻ) من أصلابهم من يعبد الله ...))**

عادَ رسول الله (ﷺ) من الطّائف في طريق مكة مضروباً، محزوناً، مدمَّى الرأس، فلما وصلَ قرب المنازل أرسل الله إليه جبريل (عليه السلام)، ومعه ملك الجبال، يستأمره أن يُطْبِقَ الأخشبين على أهل مكة.

---

١ سيرة ابن هشام: الجزء الأول ٤١٩ – ٤٢١ باختصار.

٢ المصدر السابق نفسه: ج١،ص٢٨٥.

وقد رَوَى البخاري تفصيل القصة بِسنده عن عروة بن الزبير، أن عائشة (رضي الله عنها) حدثته أنها قالت للنَّبي (ﷺ): هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال: ((لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلاَّ وأنا بقرنِ الثعالب، وهو المُسمَّى بقرنِ المنازل – فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومكَ لك، وما ردّوا عليك، وقد بعثَ الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

فناداني ملك الجبال، فَسَلَّمَ عليَّ ثم قال: يا مُحَمَّد، ذلك، فما شئت، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين)) - أي لفعلت، والأخشبان: هما جبلا مكة: أبو قُبيس والذي يقابله، وهو قُعَيْقَعان – قال النَّبي (ﷺ): ((بل أرجو أن يُخرجَ الله (ﷻ) من أصلابهم من يعبد الله (ﷻ) وحده لا يُشرِك به شيئاً))[١].

فللَّهِ درُّكَ يا نبيّ الهُدَى والرحمة ويا رسول الإنسانية والسَّلام، لا تهمك آلامك، وما لاقيت من اضطهاد وطرد وعنت، لا تدعو بالدمار والخراب على الّذينَ آذوك وأصحابك، ضرباً وطرداً، وملاحقة، وتشريداً، بل تدعو الله أن يُخرجَ من أصلابهم من يعبُد الله (ﷻ).

---

١ صحيح البخاري:كتاب بدء الخلق، ص٣٢٣١، ٧٣٨٩، فتح الباري، الجزء السادس، ص٣٦٠، ومسلم، الجزء الثاني، ص١٠٩.

*** ((فإنما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرين وَلم تُبعثوا مُعسِّرين))**

قابلَ رسول الله (ﷺ) عَداءَ قريش واليهود، وجهلَ بعض أتباعه، وغِلظة بعضهم الآخر، بالرِّفق واللين والحِلم والنُّصح الجميل، فضربَ بذلك أروعَ المثل في التواضع والحكمة والبساطة والمحبة والأخلاق الحميدة.

((عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنّ أعرابياً بالَ في المسجد، فثار إليه النَّاسُ ليقعوا به، فقال لهم رسول الله (ﷺ) دعوه وأهريقوا على بوله ذَنوباً من ماءٍ أو سَجْلاً من ماءٍ فإنما بُعثتم مُيسِّرين ولم تُبعثوا مُعسِّرين)) [١].

((وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنّهُ: رأى النَّبي (ﷺ) نخامةً في قبلة المسجد وهو يُصلّي بين يدي الناس فحتَّها، ثم قال حين انصرفَ إنَّ أحدكم إذا كان في الصلاة فإنَّ الله قَبِلَ وجهه، فلا يَتَنَخَّمَنّ أحدٌ قِبَل وجهه في الصلاة)) [٢].

ما أعظمَ هذه الأخلاق النَّبويّة الفاضلة، رجل جاهل يتبول في المسجد، وآخر يتنخم نخامة في قبلته، فلا ينهرهما رسول الله (ﷺ)، ولو بكلمةَ تأنيبٍ واحدة، كي لا يجرحَ مشاعرهما، بل يُحَاورَهُمَا بكل شفافية ورقة ولطف، مُعلِّماً إيَّاهما آدَاب الصَّلاة والنظافة والسلوك الاجتماعي المرغوب.

وهنا يكون السؤال مشروعاً: أيستأهلُ هَذا النَّبي العَظيم والمُعَلم الإنساني الجَليل أن يكون موضع اتهام بالعنفِ والإرهاب، وهو الَّذي واجهَ العنف

---

١ صحيح البخاري: الجزء الثامن ، كتاب الأدب ،ص٣٧.

٢ صحيح البخاري: الجزء الأول ، كتاب الصلاة ،ص١٩١.

والضَّرب والطَّرد بحقه وحقِّ أصحابه الكرام بالعفو والمحبة والتسامح؟!، وهو الَّذي علَّمَ البشرية جمعاء احترام الآخر وتقدير مشاعره، حتى ولو كان من أشد أعدائه؟!.

ثم أيعقلُ لإعلامٍ غَربي يدّعي الدفاع عن الحقيقة والإنصاف أن يتجاهل حقيقة التسامح الإسلامي العظيم الَّذي ملأَ الأرض حبَّاً وعدلاً وتسامحاً؟!.

*** ((استوصوا به خيراً فإنه من خياركم ..))**

أَكَّدَ رسول الله (ﷺ) في كافة مواقفه وحوَارَاتِه، وأحَاديثه الشَّريفة على مَبدأ المُسَاواة بين بني البشر كافة على اختلاف أديانهم ولغاتهم، حيث كان يولي الجميع جلَّ عنايته وفائق رعايته ومحبته.

فقد كانَ بعض كبار الصَّحابة من غير العرب كبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي (رضي الله عنهم)، من أصحاب المكانة الرفيعة والمقام السَّامي لدى النَّبي (ﷺ).

ومن مَوَاقفه الإنسانية العَظيمة تكليفه (ﷺ) مولاه الشاب أسامة بن زيد (رضي الله عنه)بقيادة الجيش الإسلامي لغزو الروم تأكيداً على مَبدأ المُسَاواة بين المسلمين كافة.

روى ابن سعد في طبقاته: عندما عقد اللواء لأسامة بن زيد (رضي الله عنه) لغزو الروم، تذمَّرَ بعض الصَّحابة وقالوا: يستعمل هذا الغلامَ على المهاجرين الأَوّلين !)) فغضبَ رسول الله (ﷺ) غضباً شديداً فخرج وقد عصب على رأسه عصابةً وعليه قطيفةً، فصعد المنبر فحمدَ الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد أيّها النّاس فما مقالةُ بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أُسامةَ لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله!
وأيمُ الله إن كان للإمارة لخليقاً وإنَّ ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لمن أحبّ النّاس إليّ، وإنّهما لمخيلان لكلِّ خير، واستوصوا به خيراً فإنّه من خياركم !)) [١].

*** ((لو أنَّ فاطمَة بنت مُحَمَّد سَرقت لَقَطَع مُحَمَّد يَدَها ...))**

في الحديث الحواري التالي لرسول الله (ﷺ) يصرُّ على قطع يد امرأة مخزومية من أشراف قريش والعرب لأنها سرقت ويُقْسم بالله: ((لو أن فاطمة بنت محمَّد سرقت لقطع مُحَمَّد يدها)).
وفيما يلي نص الحديث:
عن عائشة (رضي الله عنها) أنَّ قريشاً أهمَّتهُمُ المرأة المخزوميّة التي سرقت، فقالوا من يُكَلِّمُ رسول الله (ﷺ)، ومن يجترىءُ عليه إلاّ أُسامةُ حبُّ رسول اللهِ فكلَّمَ رسول الله (ﷺ)، فقال: أتشفعُ في حدٍّ من حدود الله، ثمَّ قامَ فخطبَ، قال: يا أيُّها النَّاسُ إنَّما ضلَّ من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشَّريف تركوه وإذا سرق الضَّعيف فيهم أقاموا عليه الحدَّ، و أيمُ اللهِ لو أنَّ فاطمة بنتَ مُحَمَّدٍ سرقتْ لقطعَ محمَّدٌ يَدَها)) [٢].

---

١ طبقات ابن سعد: الجزء الثاني، ص١٩٠.

٢ صحيح البخاري: الجزء الثاني، كتاب الحدود ،ص١٩٩.

هكذا أرسى رسول الله (ﷺ) دعائم المساواة الإنسانية في الحقوق والواجبات بين كافة المسلمين على اختلاف ألوانهم وأشكالهم ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية، فلقد أرسله الله تعالى إلى البشر كافة ليساوي بينهم ويحبّهم ويحترمهم ويقدرهم جميعاً.

*** ((عليكِ بالرّفق وإيّاك والعنف والفحش))**

لم يعرفْ تاريخ الرسالات رسولاً بسعة صدر النَّبي مُحَمَّد (ﷺ) وحِلْمِه وأنَاتِه مع أصحابه ومع أتباع الدِّيانات السَّماوية على حدٍّ سواء.

رَوَى البخاري في صحيحه: ((عن عائشة رضي الله عنها أن يهود أتوا النَّبيَّ (ﷺ) فقالوا: السَّامُ عليكم، فقالت عائشةُ: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم، قال: مهلاً يا عائشةُ عليكِ بالرِّفقِ، وإيَّاكِ والعنفَ والفُحشَ، قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: أو لم تسمعي ما قلتُ، رددتُ عليهم، فيُستجابُ لي منهم، ولا يُستجاب لهم فيَّ)) [١].

*** ((ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السَّماء))**

تَكلَّمَ رسول الله (ﷺ) بمئات الأحَاديث الشَّريفة التي عبَّرت عن عالمية الدعوة الإسلامية،وسماتها الإنسانية الفاضلة الداعية إلى المحبة والسلام، والتعاون المثمر،والعيش المشترك بين البشر جميعاً، على اختلاف أعراقهم وأجناسهم وأديانهم، مِصْدَاقاً لقوله تعالى:

---

١ صحيح البخاري: الجزء الثامن، كتاب الأدب ،ص١٥.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

ومن هذه الأحَاديث الحِوَارِيّة التوجيهية الشَّريفة الفَريدة في مَحبتها وتَسامحها وإيمانها وإنسانيتها.

نذكر الأحاديث التالية على سبيل المثال لا الحصر:

قال رسول الله (ﷺ): ((ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء)) [١].

وسأله رجل: أي الإسلام خير؟ قال: ((تُطعم الطعام، وتقرئ السَّلام على من عرفت ومن لم تعرف)) [٢].

فالمبادرة بالتحيّة والسَّلام لجميع الناس هي البداية الطّبيعية السَّليمة للحوار مع الآخر.

وقال (ﷺ): ((لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه)) [٣].

وقال (ﷺ): ((ليسَ المؤمن بالذي يَشبع وجاره جَائع إلى جانبه)) [٤].

وقال (ﷺ): ((لا تَباغضوا، ولا تَحاسدوا، ولا تَدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يَحل لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام)) [٥].

---

١ سنن أبي داود : الجزء الثاني ،٣٣٥، وجامع الترمذي : الجزء الثاني، ١٤.

٢ صحيح البخاري : الجزء الأول، ٦-٩ .

٣ المصدر السابق نفسه:٦.

٤ رواه البيهقي في شعب الإيمان، مشكاة المصابيح ٤٢٤/٢ .

٥ صحيح البخاري: الجزء الثاني /٨٩٦ .

*** ((اذهبوا فأنتم الطُلقاء ...))**

بهذه الرحمة الجليلة والعَفو النادر والصفح الجميل حَاوَرَ رسول الله (ﷺ) المُشْركين الَّذين ضَربوه وحَاربوه وآذوه وأخرجوه، وقتلوا وعذّبوا أصحابه وأخرجوهم من ديارهم.

حَاوَرَهم (ﷺ) يوم فتح مكة، وهو في قمةِ القوة، وهم في غاية الضعف، بكل تسامح الأنبياء وأخلاق الرُّسل: ((يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء)) [١].

وبهذه الأحَاديث الشَّريفة الهَادفة والحِوَارَات النَّبوية الجَليلة، هَذَّب رسول الله (ﷺ) تَفْكير صَحَابته الكرام، وعَلَّمَهُم آدَاب الحَديث وَثَقَافَة الحِوَار وَالنقَاش، وغَرَسَ فيهم حبّ الخير والفَضيلة، وعَزَّزَ

دوافعهم الإنسانية، وزَودهم بأنبل القيم السَّامية، حتى بَلغوا أعلى وأسمى مراتب الكَمَال.

فاسْتَحَق ثناءَ ربّه العَليّ القَدير: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم: ٤] .

١ شَيخ الإسلام، مُحَمَّد بن عَبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول (ﷺ)، ص٢٠٣.

القسم السادس عشر

رسالة النَبي مُحَمَّد (ﷺ) وحواراته في الكِتَابات الغَربيَّة المُنصِفَة

أولاً : الكاتب والسياسي الألماني مراد هوفمان .
ثانياً : المفكر الاسكوتلندي توماس كارليل .
ثالثاً : الشاعر الألماني الكبير غوته .
رابعاً : الكاتب الروسي الكبير تولستوي .
خامساً : الكاتب المسرحي الكبير برناردشو .
سادساً : اللورد البريطاني هيدلي .
سابعاً : المستشرق الألماني الدكتور وايل .
ثامناً : المفكر الفرنسي إميل درمنجم .
تاسعاً : المستشرق البريطاني السِّير وليم موير .
عاشراً : المستشرق الكندي جيبون .
حادي عشر : العالم الفيزيائي آلبرت أينشتاين .
ثاني عشر : الكاتب البريطاني الكبير دوانبورت .
ثالث عشر : الكاتب ألكسندر دوما .
رابع عشر : المؤرخ الأمريكي أورينج .
خامس عشر : الفيلسوف الفرنسي الكبير جان جاك روسو
سادس عشر : المستشرق الفرنسي جاك .س.ريسلر

رسالة النَّبي مُحَمَّد (ﷺ)
وحواراته في الكِتَـابَات الغَـربيَّة المنُـصِفَة

حَظي الإسلام الحنيف ورسوله الكريم مُحَمَّد (ﷺ) بالكثير من الدراسات والكتابات الغَربية الجادة والمنُصفة، فلقد وجِدَ على الدوام من رجال الفكر والأدب في العالم الغَربي من كَتَبَ عن الإسلام ورسوله الكريم (ﷺ)، إنصافاً للحقيقة وتعبيراً عن الموضوعيَّة والصِّدق ويقظة الضَّمير والرأي الحرّ.

ومن هؤلاء المفكرين من ألَّفَ الكتب العَديدة دفاعاً عن إنسانية وتسامح الإسلام ورسوله الكريم (ﷺ).

وقد أوردتُ بَعضاً من آراء وشَهادات هؤلاء المفكرين والكتَّاب إيماناً مني بضرورة احترام الرأي الآخر، وتقديمه للقارىء الكريم التماساً للموضوعية والمصداقية، ودَحْضاً لكل الشبهات التي يثيرها في الغَرب من حينٍ لآخر بعض الكتَّاب والأدباء الذين أعْمَاهم التعصب الأعمى وجهلهم بالإسلام ورسوله الكريم(ﷺ)، فاندفعوا يحاولون عَبَثا تشويه صورة الإسلام ونبيّه الكريم (ﷺ) بكتاباتهم الحَاقدة والمُغرضة والجَاهلة.

أولاً- الكاتب والسياسي الألماني مراد هوفمان

"الإسلام ليس الإسلام الذي رسمته الكنيسة"

يقول الدكتور " مراد هوفمان " وتشاطره الرأي المستشرقة الألمانيّة " آناّ ماري شميل ":

((الإسلام الموجود في رؤوس الأوربيين هو الإسلام الذي رسمته الكنيسة في عقولهم، وليس الإسلام الصحيح، وليس الإسلام كما هو، الإسلام شيء، وما وَضعته الكنيسة الأوربية في عقول الغَربيين شيء آخر)) [١].

---

١ المبارك، هاني /أبو خليل ، د. شوقي: الحوار دائماً، دار الفكر، دمشق ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ،ص٨٣.

ثانياً – المفكر الاسكوتلندي توماس كارليل

"محَمَّد (ﷺ) صَاحب الخُلق العَظيم"

ولد "توماس كارليل "في قرية " أكلفان " بإقليم أناندال بجنوبي اسكوتلندا لأربعٍ خلون من شهر تشرين الثاني ١٧٩٥م ، ويعتبر قامة عالية من قامات الفكر الإنساني العَالمي.

يقول " توماس كارليل " في كتابه ((محمَّد المثل الأعلى)) الذي عرّبه الأستاذ محمَّد السباعي: ((لوحظ عليه (ﷺ) منذ فتوته أنه كان شاباً مفكراً وقد سماه رفقاؤه (الأمين) رجل الصِّدق والوفاء في أفعاله وأقواله وأفكاره، وقد لاحظوا أنّه ما من كلمة تخرج من فيه إلاَّ وفيها حِكمة بليغة، وإني لأعرف أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب للكلام فإذا نطقَ فما شئت من لبّ وفضل وإخلاص وحِكمة، لا يتناول عرضاً فيتركه إلاّ وقد أنار شبهته وكشف ظلمته وأبان حجته واستشار دفينته، وهكذا يكون الكلام و إلاّ فلا، وقد رأيناه طول حياته رجلاً راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهمة كريماً براً رؤوفاً تقيّاً فاضلاً حراً رجلاً شديد الجد مخلصاً، وهو مع ذلك سهل الجانب ليّن العريكة جم البِشْر والطّلاقة، حميد العِشرة حلو الإيناس، بل ربما مازحَ مداعباً، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق ...)) [١].

---

١ عثمان ،محمد عثمان: محمَّد (ﷺ) في الآداب العالمية المنصفة، دمشق، ص١٧-١٨.

ثالثاً- الشَّاعر الألماني الكبير غـوته

"مُحمَّد (ﷺ) المتسامح الأكبر"

غوته أديب ألماني كبير ولد عام ١٧٤٩م، وعمل أستاذاً بكلية الجزائر، أحبَّ اللغة العربية وتعلَّمَها، ومَات عام ١٨٣٢م، وقدَّم دراسات كثيرة عن الإسلام وأخلاق المسلمين، منها على سبيل المثال لا الحصر كتابه ((أخلاق المسلمين وعاداتهم)).

كتبَ غوته مَادحاً رسول الله (ﷺ): ((.. ولا شك أنه المتسامح الأكبر أمام اعتداءات أصحاب الديانات الأخرى وأمام إرهابيات وتخريفات اللادينين، وأن التسامح بمعناه الإلهي غرسه رسول الإسلام في نفوس المسلمين، فقد كان (ﷺ) المتسامح الأكبر، ولم يتخذ موقفاً صعباً ضد كل الذين كانوا يعتدون عليه بالسبّ أو بمد الأيدي أو بعرقلة الطريق، وما شابه ذلك، فقد كان متسامحاً فتبعه أصحابه وتبَعه المسلمون، وكانت ومازالت صفة التسامح هي إحدى المميزات والسِّمات الراقية للدِّين الإسلامي)) [١].

وقد استلهم" غوته" أخلاقيات الرسول (ﷺ) في العَديد من قصائده.

---

١ عثمـان، محَمّـد عثمـان: مُحَمَّـد (ﷺ) فـي الآداب الغَربيـة المنصـفة، ص٢٠.

رابعاً- الكاتب الروسي الكبير تولستوي

"لم يُجبر النَّبي مُحَمَّد (ﷺ) أحداً على اعتناق الإسلام"

"تولستوي" روائي وكاتب روسي كبير (١٨٢٨-١٩١٠م) كانت حياته كلها حركة وعلماً وأدباً، فاكتسب شهرة واسعة وترجمت أعماله إلى أغلب لغات العالم.

((اهتم تولستوي بالدين الإسلامي، فقرأ عنه وقرأ فيه وتبادل حوله الرسائل مع أئمة الإسلام، ومنهم الشيخ محمَّد عبده، ألَّف كتابه ((حكم النَّبي محمَّد (ﷺ))) تعريفاً بالإسلام وبرسوله الكريم (ﷺ)، وقد تُرجم إلى الإنكليزية ثم ترجمه إلى العربية " سليم قبعين " عام ١٩١٢م.

ويشير "تولستوي" في مقدّمة الكتاب إلى أن الإسلام دين الرحمة والعدل والمساواة والحوار والتسامح)) [١].

قال "تولستوي" ممتدحاً النَّبي(ﷺ) وقبوله الآخر ومُحَاوَرَاته القيّمة: ((أنا واحد من المبهورين بالنَّبي محمَّد (ﷺ) الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه وقلبه وعقله، ليكون هو أيضاً آخر الأنبياء، وقد اعترف بالأنبياء الذين سبقوه بتكليف من الإله الواحد، ليُقدِّموا البناء الاجتماعي

---

١ نفسه، ص ٢٤،٢٥.

العالمي الذي جاء يستكمله، فقد جاء محمَّد(ﷺ) ليستكمل بالإسلام البناء الاجتماعي للإنسان في كل مكان)) [١].

وقال "تولستوي" أيضاً: ((لم يضغط النَّبي محمَّد (ﷺ) بأي طريقة على أصحاب الديانات الأخرى ليدخلوا في دينه وكذلك يفعل المسلمون اليوم.

تحمَّل النَّبي محمَّد (ﷺ) عذابات كثيرة في سبيل أن تصل دعوته للجميع، وذلك دون أن يُشهر سيفاً، بل على العكس لاقى اضطهاداً حتى من الَّذين اعترف بأديانهم وأنبيائهم، حيث كانوا على رأس أعدائه، ومع ذلك ثابر وصبر واستطاع أن يتم رسالته كاملة)) [٢].

وأضاف "تولستوي": ((لا يوجد نبيّ حظي باحترام أعدائه سوى النَّبي محمَّد (ﷺ)، مما جعل الكثرة من الأعداء يدخلون الإسلام)) [٣].

---

١ عثمان، محَمّد عثمان: مُحَمَّد (ﷺ) في الآداب الغَربية المنصفة، نفسه، ص٢٥.

٢ نفسه، ص٢٤.

٣ نفسه، ص ٢٤.

خامساً- الكاتب المسرحي البريطاني جورج برناردشو
"الغَرب يَقرأ كُتباً مليئة بالأكاذيب عن الإسلام ورسوله (ﷺ)"

"جورج برناردشو"كاتب مسرحي بريطاني كبير ولد عام ١٨٥٦م، أُعجب بشخصية النَّبي (ﷺ) وقرأ عنه كثيراً، وتوقف باحترام عند المنهج الإقناعي الحكيم في حوَارَاته، وممَّا قاله في هذا الصَّدد: ((قرأتُ حياة رسول الإسلام جيداً مرات ومرات، ولم أجد فيها إلاَّ الخُلق كما يجب أن يكون، وأصبحت أضع محمَّداً في مصاف، بل على قمم المصاف من الرجال الذين يجب أن يُتبعوا، ولما قرأت دين محمَّد أحسست أنَّه دين عظيم.
ولو أنَّ محمَّداً وُجِدَ في هذا العَالم اليوم لاستطاع بقوةِ إقناعه أن يحل كل مشكلات العالم، وأن يجعل الحبّ والسلام يسودانه)) [١].
وقال برناردشو أيضاً: ((لقد مضت على الغَرب القرون وهو يقرأ كتباً وجرائد مليئة بالأكاذيب عن الإسلام ونبيّه، أمَّا اليوم فقد تُرجم القرآن (*) وبعض كتب الإسلام إلى اللغات الأوربية، ففطن رجال الغَرب، بعد أن انتشرت تلك التراجم إلى أن الإسلام الحقيقي ليس الذي عرفوه من كتب قرؤوها من قبل)) [٢].

---

١ عثمان، محمَّد عثمان: مُحَمَّد (ﷺ) في الآداب الغَربية المنصفة، ص٣٣.
(*) الصواب في معاني القرآن.
٢نفس المرجع السابق، ص٣٤.

سادساً – اللـورد البريطاني هيدلــي

"أخلاق ربانية أقنعت العرب"

يتحدث اللورد والمثقف الإنكليزي المعروف "هيدلي" عن جوانب من أخلاق الرسول (ﷺ) ردَّاً على ما اتُهِم به من افتراءات ظالمة، وممَّا قاله: ((ليس في وسع الإنسان في الحقيقة إلاَّ أن يعتقد أن ناسجي هذه الافتراءات لم يتعلموا حتى ولا أول مبادئ دينهم، وإلاّ لما استطاعوا أن ينشروا في جميع أنحاء العالم تقارير كاذبة.

فكل صفات الصَّبر في عصره كانت تُرى أثناء الثلاث عشرة سنة التي تألّقها في مجاهداته الأولى بمكة، ولم يشعر في كل زمان هذا الجهاد بأي تزعزع في الثقة بالله وأتم كل واجباته بشَمَم وحميّة.

وبما أننا في احتياج إلى نموذجٍ كامل يفي بحاجاتنا في خطواتِ الحياة فحياة النَّبي تسد تلك الحاجة، حاجة محمَّد (ﷺ) كمرآة تعكس علينا التعقل الراقي والسَّخاء، والإقدام، والكرم، والشجاعة، والصّبر، والحكم، والسُّمو، وباقي الأخلاق الجوهرية التي تُكوّن الإنسانية، تلك الأخلاق الربانية التي أظهرها النّبي الكريم (ﷺ) أقْنَعَتْ العرب بأنَّ فائزها يجب أن لا يكون إلاَّ من لدن الله وأن يكون رجلاً على الصِّراط المستقيم حقاً)) [١].

---

١ عثمـان، محمَّـد عثمـان: مُحمَّـد (ﷺ) فـي الآداب الغربيـة المنصـفة - الصواب في معاني القرآن ص٣٣.

ويضيف: ((خذ أي وجه من وجوه الآداب تتأكد بأنك تجده موضحاً في إحدى حوادث حياته، ومُحَمَّد(ﷺ) وصل إلى أعظم قوة وأتى إليه مقاوموه و وجدوا منه شَفَقَة لا تُجارى وكان ذلك سَبَبا في هِدَايتهم [١].

سابعاً- المستشرق الألماني الدكتور وايل

"الغَرب حرصَ على تشويه صورة الإسلام ورسوله (ﷺ)"

الدكتور "وايل" هو أستاذ اللغات الشَّرقية ومدرّس العربية والسّريانية في جامعة باريس.

قال في كتابه: ((تاريخ الخلفاء)) عن رسول الله (ﷺ): ((إنَّ أقوال المُغْرضين وآراء المتعصبين كانت وما زالت تتوجه إلى دين الإسلام ورسول الإسلام مُحَمَّد (ﷺ)، وأن الغَرب الصَّليبي الاستعماري حرص منذ قرون على مواجهة الإسلام وتشويه صورته وتجريح نبيّه مُحَمَّد (ﷺ))) [٢].

---

١ المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

٢ عثمان، محمَّد عثمان: مُحَمَّد (ﷺ) في الآداب الغربية المنصفة، ص٥٩.

ثامناً- المفكر الفرنسي إميل درمنجم

"النّبي مُحَمَّد (ﷺ) يحبّ الأطفال"

يقول المفكر الفرنسي: "إميل درمنجم " عن رسول الله (ﷺ): ((كان النَّبي محمَّد (ﷺ) يحبّ الأطفال كثيراً ويلعب معهم ويترك أولاد ابنته يركبون على ظهره حتى أثناء الصلاة، ويلعبون على المنبر وهو يخطب، وكان صبره لا مثيل له كما يقول خادمه أنس الذي خَدَمه عشر سنوات، حيث كان يذكر عجيب صبره، ويقول أنه ما وبخه ولا مرَّة، وكان حَسَن العِشْرة مع الجميع، حتى مع الذين لم يكن رأيه فيهم حَسَنا، ولم يكن ينطق بِكَلِمَة غَليظة أصلاً، وكان بابه مَفتوحاً للجميع)) [1].

---

١ نفسه ، ص٧٤.

تاسعاً- المستشرق والمؤرخ البريطاني السِّير وليم موير

"تواضع ورأفة وإنسانية وتسامح ومحبة"

يقول المستشرق والمؤرخ البريطاني " السِّير وليم موير " (١٨١٩ -١٩٠٥م)، الذي امتاز بدراساته العديدة في التاريخ الإسلامي، ومنها كتابه:" حياة مُحَمَّد": ((كان النَّبي محمَّد (ﷺ) إذ لقي من يفرح بنجاح أصابه أمسك يده وشاركه سروره، وكان مع المصاب الحزين شريكاً شديد العطف حسن المواساة، وكان في أوقات العُسر يقسم قوته مع الناس، وكان دائم الاشتغال والتفكير في راحة من حوله وهناءتهم)) [١].

ويضيف " السِّير وليم موير" قائلاً: ((ومن صفات النَّبي (ﷺ) الجديرة بالتنويه والإجلال، الرقة والاحترام اللتان كان يعامل بهما أتباعه حتى أقلّهم شأناً، فالتواضع والرأفة والإنسانية وإنكار الذات والسَّماحة والإخاء، وثّقت به محبة كل من حوله، وحينما نَصِفُ الرسول مُحَمَّد (ﷺ) بهذه الصّفات العظيمة فإننا بذلك نصف الإسلام ونقدره ونوقره ونحترمه.

لقد امتاز مُحَمَّد (ﷺ) بوضوحِ كَلامه وَسهولة دينه، فَأحْيا الأخلاق وحَثَّ على الفَضيلة في زمن قصير لم يسبقه ولم يلحقه أحد غيره، وهذا حال الأنبياء والرسل حينما يربيهم الله (ﷻ)، ويرسلهم برسالة حق كما أرسل محمَّداً بالإسلام الحقيقة والحق ليختم الرسالات وأيضاً ليختم الرسل))[٢].

---

١ نفسه، ص٤٨.

٢ عثمان، محمَّد عثمان: مُحَمَّد (ﷺ) في الآداب الغربية المنصفة، ص٤٩.

عاشراً- المستشرق الكندي جيبون

"الدِّين الإسلامي خالٍ من الشكوك والظنون"

يقول المستشرق الكندي " جيبون " في كتابه ((مُحَمَّد في الشَّرق)) عن النَّبي محمَّد (ﷺ): ((إن دين الإسلام خالٍ من الشكوك والظنون، والقُرآن أكبر دليل على وحدانية الله)) [١].

حادي عشر – العَالِم الفيزيائي الكبير ألبرت آينشِـتاين

"وَاجَه سلوكيات اليَهود الشَّاذة بالحكمَة"

يعتبر العالم الفيزيائي "ألبرت آينشتاين" المولود في ألمانيا عام ١٨٧٩م، لأبوين يهوديين والمتوفى عام ١٩٥٥م، من أهم علماء الفيزياء في عصرنا الراهن، وقد نال جائزة نوبل.

يقول عن تَسامح النَّبي مُحَمَّد (ﷺ) مع اليهود: ((لقد استطاع النَّبي محمَّد أن يمتص كل سلوكياتهم – اليهود – الشَّاذة ضده وضد رسالته بالحكمة التي عَامَل بها الناس جميعاً، فلم يستطيعوا أمام سلوكه الإنساني وفكره البسيط والعَالمي في نفس الوقت إلاّ أن يَرضخوا له، حتى أن بعضهم آمن بمحمّد (ﷺ) ورسالته وانخرط مؤمناً برسالته)) [٢].

---

١ نفسه ، ص ٨٢.

٢ نفسه، ص٨٤.

ثاني عشر – الكاتب البريطاني الكبير دوانبورت

"أعْتَذر من مُحَمَّد (ﷺ)"

قال الكاتب البريطاني الكبير " جان دوانبورت ": ((أعتذر عن التصورات والأوهَام والأحكَام التي كانت شائعة في الغَرب حول نبيّ الإسلام مُحَمَّد (ﷺ)) [١].

وقال أيضاً: ((هؤلاء المبشرون والحاقدون، وأكثر المستشرقين يغيرّون الكَلِم عن مواضعه ويكذبون بشكل متعمد، دون علم رصين أو كشف للحقائق أو غور في أعماق التاريخ الإسلامي أو اطلاع كامل لما جاء في الدين الإسلامي العظيم وسيرة النّبي محمَّد (ﷺ)، هؤلاء أساسهم الجهل وقصدهم التشويش وهدفهم التضليل والافتراء)) [٢].

---

١ عثمان، محمد عثمان: مُحَمَّد (ﷺ) في الآداب الغربية المنصفة ، ص١١٧.

٢ نفسه، ص ١١٧.

ثالث عشر – الكاتب الكسندر دوما

"لا يحتج إلاَّ بالصِّدْق"

يتحدث الكاتب العالمي الشهير " الكسندر دوما " عن سمَات حِوَار النَّبي (ﷺ) وخَصَائصه قائلاً:

((لم تَسقط له كلمة، ولا زلَّت له قَدم، وَلاَ بَارَتَ له حُجة، ولم يقم له خَصم، ولا أفْحَمَه خَطيب، بَلْ يَبْدَأ الخُطَب الطِّوَال بالكَلاَم القَصِير، وَلاَ يَلتمس اسْكَات الخَصْم إلاّ بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلاّ بالصّدق، ولا يعجل، ولا يُسهب، ولا يَحصر، ثم لم يَسْمَع الناس بكلامٍ قط أتم نفعاً، ولا أصدق لَفظاً، ولاَ أعدَل وَزْنَاً، ولاَ أجْمَل مَذهباً، ولا أكرَم مطلباً، ولا أحْسَن مَوقعاً، وَلاَ أسْهل مَخْرَجاً، ولا أفْصَح في معناه، ولا أبْين عن فحواه، من كَلامه (ﷺ))) [١].

رابع عشر – المؤرخ الأمريكي أورينج

"يَنطق بالحِكمَة وفَصل الخطَاب"

يقول المستشرق والمؤرخ الأمريكي " أورينج " في كتابه " الحياة والإسلام ": ((كان النَّبي (ﷺ) أفْصَح الناس مَنْطقَاً يَنطق بِالحِكْمَةِ وَفَصل الخطَاب، فَهو إذا أرشد كانت ألفَاظه كالجَوهر، وإذا تَكَلَمَ سَمَا وَعَلا، حلو المَنْطق)) [٢].

---

١ نفسه، ص٩٨.

٢ عثمان، محمد عثمان: مُحَمَّد (ﷺ) في الآداب الغربية المنصفة ، ص٩٧.

خامس عشر – الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو

"حوّلَ العقول والقُلوب إلى عِبَادة الله الوَاحد"

يعتبر "جان جاك روسو" فيلسوفاً فرنسياً ذائع الصيت (١٧١٢-١٧٧٨)، وقد أبدى إعجابه بالنَّبي محمَّد (ﷺ)، وممَّا قاله عنه: ((لم يرَ العالم حتى اليوم من استطاع أن يحوّل العقول والقلوب إلى عبادة الإله الواحد إلاَّ محمَّداً، ولو لم يكن قد بدأ حياته صادقاً أميناً مَا صَدَّقه أقرب الناس إليه، خَاصة بعد أن جاءته رسالة الله لنشرها.

لقد عهده قومه (ﷺ) منذ طفولته صَادقاً أميناً وفيَّاً كريماً، وها هو يأمرهم بالصِّدق والعَفاف والتَّقوى ويبلّغهم القُرآن الكريم [١].

سادس عشر – جاك . س. ريسلر

"قوة إقناع النَّبي مُحَمَّد"

أنْصَفَ المستشرق الفرنسي "جاك . س. ريسلر "الحضارة العربية والإسلامية، وأبدى إعجابه الشَّديد بالإسلام الحنيف ورسوله الكريم (ﷺ)، وكتب كتابات هامة في هذا المجال، منها كتابه المُنْصِف للإسلام ((الحضارة العربية)) الذي يقول فيه:

---

١ نفسه، ص٤١.

((بيد أنه على الرغم من الاضطهاد المستمر المؤلم، وعلى الرغم من فقده خديجة زوجه التي كانت أول من سانده وأخلصت له، والتي فاضت روحها في سنة ٦١٩، وعلى الرغم من موت عمّه أبي طالب الذي كان معيناً له أيضاً، فإن مُحمَّداً (ﷺ)لم يكل، بل مضى عَبْرَ الجزيرة العربية يدعو إلى الدِّين الجديد، وكان كل يوم يضيف رواداً جدداً اعتنقوا الإسلام متأثرين بقوة إقناع النَّبي (ﷺ)، ومع هذا فقد كان موقفه يتعقد أكثر فأكثر، فعندما رحل إلى الطائف، طُردَ منها مُشَيَّعاً بقذف الأحجار)) [١].

وتعتبر هذه الآراء والشَّهادات التي تَحَدَّثَ بها هؤلاء المُنْصِفون الأجَانب من العُلماء والأدباء ورجال الفكر الحرّ في حقِّ النَّبي(ﷺ)، مجرد نزرٍ يسير من مئات الشَّهادات المُنْصِفَة، فمالم يُترجم بعد إلى اللغة العربية هو الشَّطر الأكبر من هذه الكتب والآراء الحرَّة التي أنصفت الإسلام ورسوله الكريم (ﷺ)، وأبرزت مكانته ودوره الكبير في تاريخ الرسالات السَّماويّة خصوصاً، وتاريخ الإنسانيّة عموماً.

[١] ريسلر، جاك س: الحضارة العربية، ت: غنيم عبدون، الدَّار المصرية للتأليف والترجمة، بلا تاريخ، ص٢٨.

الخاتمة

هَكَذَا حَاوَرَ رسول الله (ﷺ)، بكل الود والحبّ الجميع: الصِّغار والكبار، النِّساء والرجال، الشباب والشيوخ، الأعداء والأصدقاء، العرب وغير العرب، اليهود والنَّصارى، وسائر المشركين أصحاب الأصنام من قريش ومن العرب.

لقد اتخذ (ﷺ) من الحوار مَنْهَجاً وطريقاً للتفاهم مع الآخر، وكان هدفه الأسمى هداية البشر كافة إلى عبادة الله الواحد لتكون لهم الحياة المثمرة الحقيقية: حياة الإيمان والطّمأنينة والفرح.

وبعد أن قدمتُ ما قيَّضَ الله لي تقديمه من حواراته وأحاديثه الشَّريفة (ﷺ)، وهي براهين ثابتة وأدلة دامغة على إنسانية رسالته السَّامية (ﷺ)،أيعقل لكل عاقلٍ منصفٍ ذي بصيرة في الغَرب أن يَتهم رسول الإنسانية والمحبة والسَّلام (ﷺ) بالعنف والإرهاب ؟!.

وهوَ الذي جَاء لينشر ثقافة الحوَار والتفاهم والتسامح والسَّلام بين الأديان والشعوب، معترفاً برسالة موسى وعيسى وسائر الأنبياء (عليهم السلام)!.

أيعقل لكلِ منصفٍ للحقيقة، أن يقبلَ بما تقوم به بعض الوسائل الإعلامية الغَربية من حين لآخر، من هجمات حاقدة ومُشوّهة للإسلام الحنيف ورسوله الكريم (ﷺ)، تنم عن الجهل بسماحة الإسلام وإنسانية رسالته التي أرادها الله تعالى للبشر كافة.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

لقد كان النَّبي (ﷺ)المتسامح الأكبر معَ كافة أتباع الديانات السّماوية كالنّصرانية واليهودية، ومع طواغيت الوثنية من قريش وقبائل العرب ، الَّذين ضربوه واضطهدوه وأخرجوه وأصحابه من ديارهم بغير حق.

ورغم كل هذا الأذى، حَاوَرَهم (ﷺ) بالتي هي أحسن، وهو في أوج قوته، وهم في أشد حالات ضعفهم يوم فتح مكة، وعَفا عنهم جميعاً.

ونتيجة لحوَارَات النَّبي (ﷺ) ومناقشاته الهادفة والمقنعة وآدابه الرسالية السَّامية وأخلاقه الفاضلة دَخَلَ الناس في دين الله أفواجاً أفواجاً ، فأشرقت شمس الإسلام بنور عقيدة التوحيد على العالم كله.

ثبت المراجع والمصادر

*<u>أولاً- الكتب :</u>

١- **الاستيعاب** لأبي عمر يوسف بن عبد البرّ (٣٦٨-٤٦٣ هـ) نهضة مصر
٢- **الإصابة في تمييز الصَّحابة** للحافظ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد (٧٧٣-٨٥٢ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣- **البداية والنهاية** للحافظ ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤)، تصوير مكتبة المعارف والنصر، ط١، بيروت ١٩٦٦.
٤- **تفسير الطّبري (جامع الحديث)** لأبي جعفر، محمد بن جرير الطّبري (٢٢٤-٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت.
٥- **التسامح في الإسلام** للأستاذ هاني المبارك والدكتور شوقي خليل ،دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م .
٦- **تاريخ اليهود ببلاد العرب** لإسرائيل ولفنسون، بيروت، بلا تاريخ.
٧ - **حكايات وعبر من هدي سيّد البشر** لمحمد نديم الشهابي، مركز النديم، حلب١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٨- **حقوق الإنسان في الإسلام** للدكتور محمد الزحيلي، ط٣، دار الكلم الطيب ، دمشق ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٩- **حقوق الإنسان في الإسلام** للدكتور هاني المبارك، دار الفكر، دمشق١٩٩٦م.

١٠- **الحرية الدينية في الإسلام** لعبد المتعال الصعيدي، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، بلا تاريخ .

١١- **الحضارة العربية** لجاك ريسلر، ت: غنيم عبدون، الدَّار المصرية للتأليف والترجمة، بلا تاريخ.

١٢- **الحوار في القرآن والسُّنة** للدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، بحث منشور في موقع رابطة العالم الإسلامي .

١٣- **الحوار في الكتاب والسُّنة** للدكتور بسام داود عجك، بحث منشور في موقع رابطة العالم الإسلامي .

١٤- **الرَّحيق المختوم** لصفي الرحمن المباركفوري، ط١٩، دار خالد بن الوليد، القاهرة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١٥- **زاد المعاد** لابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن بكر بن أيوب (٦٩١-٧٥١هـ) المطبعة المصرية،ط١ ، ١٣٤٧ هـ .

١٦- **سنن ابن ماجه** لأبي عبد الله، محمّد بن يزيد بن ماجه القزويني (٢٠٩-٢٧٣هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

١٧- **سنن النّسائي بشرح السيوطي** لأبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي(٢١٥-٣٠٣هـ) دار إحياء التراث العربي /بيروت، لبنان.

١٨- **السّنن الكبرى** لأبي بكر أحمد بن حسين بن علي البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ)، تصوير عن الطبعة الأولى، حيدر آباد، الهند ١٣٤٤ هـ .

١٩- **سنن أبي داود** لأبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ)، مطبعة البابي الحلبي، مصر ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

٢٠- **سنن الترمذي = الجامع الصحيح مع تحفة الأحوذي للمباركفوري** (١٣٥٣هـ) لمحمَّد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، مطبعة المدني، القاهرة، ط٢، ١٣٨٣هـ /١٩٦٦م .

٢١- **سنن الدار قطني** لعليّ بن عمر الدارقطني (٣٨٥هـ)، نشر السّيد عبد الله يماني المدني، المدينة المنورة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٢٢- **السِّيرة النَّبوية** لأبي محمّد، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (المتوفى ٢١٣ أو ٢١٨ هـ)، مراجعة محمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، بلا تاريخ.

٢٣_ **سنن الدارمي** لأبي محمَّد، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥)، ت الدكتور مصطفى البغا ، دار القلم، دمشق ١٤١٢/١٩٩١.

٢٤- **الشفا** للقاضي أبي الفضل، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي البستي (٤٤٦-٥٤٤ هـ)، المطبعة العثمانية، إستانبول١٣١٢هـ .

٢٥- **صحيح البخاري** لمحمَّد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، دار القلم، دمشق ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٦- **صحيح مسلم مع شرح النووي (٦٧٦هـ)** لمسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١هـ)، المطبعة العصرية، ط١، القاهرة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.

٢٧- **صدر الإسلام** للدكتور صلاح الدين المدني، دمشق ١٩٦٢م .

٢٨- **الطَّبقات الكبرى** لمحمَّد بن سعد (١٦٨-٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت/ لبنان، بلا تاريخ.

٢٩- **في ظلال القرآن** لسيد قطب، تصوير دار المعرفة، بيروت ١٣٩١ هـ/١٩٧١م.

٣٠- **فتح الباري** للحافظ ابن حجر، أحمد بن عليّ العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢)، المطبعة السلفية، الروضة، ط١،٢،مصر.

٣١- **الفتح الكبير في ضم الزيادات إلى الجامع الصغير للسيوطي**، الشيخ يوسف النبهاني(١٣٥٠/١٩٣٢)، مطبعة البابي الحلبي، مصر ١٣٥٠.

٣٢- **كُن كابن آدم** لجودت سعيد، دار الفكر، دمشق ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣٣-**كنز العمَّال** لعلاء الدين علي المتقي بن حسام، الجزء الأول، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٣٤- **الكتاب المقدس** دار الكتاب المقدس، بيروت ١٩٨١م .

٣٥- **لسان العرب** لابن منظور، دار العلم، بيروت ١٩٧٤ م .

٣٦- **مُحَمَّد رسول الله (ﷺ)** لمحمَّد رضا، ط٥، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٦م.

٣٧- **مع المُصطَفى (ﷺ)** للدكتورة عائشة عبد الرحمن، دار الكتاب العربي، بيروت /لبنان١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٣٨- **المعجم الأوسط** للحافظ أبي القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، مكتبة المعارف، ط١، الرياض.

٣٩- **المعجم الصغير** للحافظ أبي القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣ هـ .

٤٠- **مختصر سيرة الرسول (ﷺ)** لشيخ الإسلام عبد الله بن محمَّد بن عبد الوهاب النجدي، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤١٢ هـ/١٩٩١م .

٤١- **مسند الإمام أحمد** للإمام أحمد بن محمَّد بن حنبل الشيباني (١٦٤-٢٤١هـ) المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ .

٤٢- **مُحَمَّد (ﷺ) في الآداب العالمية المُنْصِفة** لمحمَّد عثمان عثمان، دمشق، بلا تاريخ.

٤٣ . **مُعجزة الإسلام التربوية** للدكتور محمود السيّد، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٨.

٤٤- **مُحَمَّد رسول الله (ﷺ)** لنزار أباظة، دار الفكر، دمشق١٩٩٧.

*** ثانياً – المجلات :**

١- المجلة العربية، العدد٣٦٩، الرياض شوال ١٤٢٨هـ، نوفمبر٢٠٠٧م.

٢- مجلة التسامح، سلطنة عُمان، العدد ١٧، شتاء ٢٠٠٧ م .

٣- مجلة الثقافة الإسلامية، دمشق، العدد ٩٦، رمضان ١٤٢٥هـ .

*** ثالثاً – المواقع الإلكترونية :**

١- موقع رابطة العالم الإسلامي .

المحتويات

الإهداء ٥

مقدمة ٦

القسم الأول نبذة موجزة من سيرة النَّبي محمّد (ﷺ) ١١

أولاً – نسبه (ﷺ) وولادته ورضاعته وشبابه ١٢

ثانياً – زواجه بخديجة ١٥

ثالثاً – بناء الكعبة وقضية التحكيم ١٦

رابعاً – صفاته الحميدة قبل النّبوة: ١٧

خامساً – اختلاؤه في غار حراء ١٨

سادساً- بدء الوحي ١٩

سابعاً – النّبوة والدعوة (العهد المكيّ) ٢١

ثامناً- الدعوة والجهاد (العهد المدني) ٢٣

تاسعاً - علاقة دعوة النّبي (ﷺ) بالدعوات السّماوية السابقة ٢٣

القسم الثاني الحوار في القرآن الكريم والسُّنّة النَّبوية ((تعريفه وأهميته ومنزلته وأسسه وعناصره)) ٢٥

أولاً : تعريف الحوار وحقيقته ٢٧

ثانياً- أهمية الحوار ودواعي تعزيز ثقافته ٢٨

ثالثاً- منزلة الحوار في القرآن الكريم ٣٠
رابعاً – منزلة الحوار في السُّنّة النّبوية ٣٠
خامساً – أسس الحوار ٣١
١- الإخلاص لله، والتجرد من الهوى وحظوظ النّفس ٣١
٢- العلم ٣١
٣- العدل والإنصاف ٣٢
٤- الحكمة ٣٣
٥- الموعظة الحسنة ٣٣
٦- المجادلة بالتي هي أحسن ٣٤
٧- اعتماد العقل والتفكير السليمين ٣٤
٨ التجرد عن الأحكام المسبقة ٣٥
٩- مواجهة الطرف الآخر من خلال أفكاره ٣٥
١٠- عدم إثارة الطرف الآخر ٣٦
١١- قيام الحوار على مبدأ عدم العنف ٣٦
سادساً – عناصر الحوار ٣٧
١- أطراف الحوار ٣٧
٢- موضوع الحوار ٣٩
٣- أهداف الحوار ٣٩
٤- أهداف الحوار الإسلامي مع غير المسلمين ٤٢

٥- الإدارة والرقابة والتحكيم ٤٣
٦- مكان الحوار ٤٣
٧- زمان الحوار ٤٤
٨- منهج الحوار ٤٤
٩- أسلوب الحوار ٤٦
١٠- آداب الحوار ٤٧
١١- نتائج الحوار ٥٠

القسم الثالث الحِوَار في القُرآن الكَريم ٥١

أولاً- الحوار والجدال في القرآن الكريم ٥٣
ثانياً- دعوة القرآن الكريم إلى الحوار ٥٤
ثالثاً- عالمية الحوار القرآني ٥٥
رابعاً- الحِوَار مع الملائكة والجِنّ ٥٨
خامساً- الحوار مع الأنبياء والرُّسل (عليهم السلام)وحوارات الأنبياء مع النَّاس.٦٠
سادساً - الحِوَار مع المؤمنين ٦٧
سابعاً- الحوار مع أهل الكتاب ٦٨
ثامناً- أسئلة المسلمين واليهود والمشركين في القرآن الكريم ٧٢

القسم الرابع الحِوَار في مَنْهَج الشّورى ٧٥

القسم الخامس حِوَار النَّبي (ﷺ) مَعَ أزوَاجه وَأقَاربه وَأصحَابه (رضي الله عنهم).٨٣

أولاً- الرسول (ﷺ) يُحَاور أزواجه ٨٤

ثانياً - الرسول (ﷺ) يُحَاور أقاربه ٨٧
ثالثاً- الرسول (ﷺ) يُحَاور أصحابه الكرام ٩٣
رابعاً - الرسول (ﷺ) يَدعو النَّاس إلى الإسلام بالحِوَار والمُنَاقشة والإقناع ٩٩

القسم السادس حِوَار النَّبيّ (ﷺ) معَ وفود العَرب ١٠٣
القسم السابع مُحَاوَرَات رسول الله (ﷺ) مَعَ اليَهود وَالنَّصَارَى .١١١
القسم الثامن حِوَار النَّبي (ﷺ) مَعَ المُشرِكين ١٢٥
القسم التاسع الحوار غير المباشر و تبليغ الدّعوة و التواصل مع الآخر في كُتب الرَّسول (ﷺ) إلى زعَمَاء القَبَائل ومُلوك العَالم القَديم ١٣١

أولاً- كُتب الرسول (ﷺ) إلى ملوك وزعماء النّصارى ١٣٦
ثانياً- كُتُب الرَّسول (ﷺ) إلى اليهود ١٣٩
ثالثاً- كتاب الرَّسول (ﷺ) إلى كسرى ملك الفرس ١٤٠
رابعاً- كُتُب الرَّسول (ﷺ) إلى زعماء العَرب ١٤٠

القسم العاشر الحِوَار في خُطَب النَّبي (ﷺ) ١٤٣

أولاً- خطبة الرسول (ﷺ) في بداية الدعوة ١٤٤
ثانياً- خطبة الرسول (ﷺ) بعد بناء المسجد النّبوي ١٤٥
ثالثاً- من خُطب الرسول (ﷺ) التوجيهية والتعليمية ١٤٦
رابعاً - خطبة الرسول (ﷺ) في اليوم الثاني من الفتح ١٤٧

خامساً- خطبة حجة الوداع ١٤٩

القسم الحادي عشر فَضَائل الأخلاق ومَكَارم الآدَاب في حوَارَات النَّبي (ﷺ) ١٥٣

أولاً- التواضع ١٦٢

ثانياً- الآدَاب السَّامية ١٦٤

ثالثاً- العَدل ١٦٦

القسم الثاني عشر المَضَامين الإنسانيّة وَالتربويّة والتعليميّة في حوَارات النَّبي (ﷺ) ١٦٩

أولاً – المَضَامين الإنسانية ١٧٠

ثانياً- المَضَامين التربوية ١٧٣

ثالثاً- المَضَامين التعليمية ١٧٧

القسم الثالث عشر توظيف القَصَص القُرآني في حِوَار النَّبي (ﷺ) ١٧٩

القسم الرابع عشر آدَاب حِوَار النَّبي (ﷺ) في عيون مُحَاوريه..١٨٥

القسم الخامس عشر في رحَاب النَّبي مُحَمَّد (ﷺ) ١٩١

في رحَاب النَّبي مُحَمَّد (ﷺ)حِوَارَات وَمَوَاقف عَظِيمَة.....١٩٢

القسم السادس عشر رسالة النَّبي مُحَمَّد (ﷺ) وحواراته في الكِتَابَات الغَربيَّة المُنصِفَة ٢٠١

أولاً- الكاتب والسياسي الألماني مراد هوفمان ٢٠٣
ثانياً - المفكر الاسكوتلندي توماس كارليل ٢٠٤
ثالثاً- الشَّاعر الألماني الكبير غوته ٢٠٥
رابعاً- الكاتب الروسي الكبير تولستوي ٢٠٦
خامساً- الكاتب المسرحي البريطاني جورج برناردشو ٢٠٨
سادساً - اللورد البريطاني هيدلي ٢٠٩
سابعاً- المستشرق الألماني الدكتور وايل ٢١٠
ثامناً- المفكر الفرنسي إميل درمنجم ٢١١
تاسعاً- المستشرق والمؤرخ البريطاني السِّير وليم موير ٢١٢
عاشراً- المستشرق الكندي جيبون ٢١٣
حادي عشر- العَالِم الفيزيائي الكبير ألبرت آينشِتاين ٢١٣
ثاني عشر- الكاتب البريطاني الكبير دوانبورت ٢١٤
ثالث عشر- الكاتب الكسندر دوما ٢١٥
رابع عشر- المؤرخ الأمريكي أورينج ٢١٥
خامس عشر- الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو ٢١٦
سادس عشر- جاك . س. ريسلر ٢١٦

الخاتمة ٢١٨

ثبت المراجع والمصادر ٢٢٠